

بدل الاشتراك عن سنة
 ٦٠ في مصر والسودان
 ٨٠ في الأقطار العربية
 ١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
 ١٢٠ في العراق بالبريد السريع
 ١ ثمن العدد الواحد
 مكتب الاعلانات
 ٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
 تليفون ٤٣٠١٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفن

ARRISSALAH
 Revue Hebdomadaire Littéraire
 Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
 ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
 بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
 النبة الحفراء - القاهرة
 ت رقم: ١٢٢٩ ، ٥٣٤٥٥

العدد ١٩١ ، القاهرة في يوم الاثنين ١٨ ذى الحجة سنة ١٣٥٥ - ١ مارس سنة ١٩٣٧ ، السنة الخامسة

ثقافة مصر المستقلة

يجب أن تقوم على أسس جديدة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

مصر في مفتاح عهد جديد ، لا يتناول مركزها السياسي فقط ، بل يتناول أيضا كل شيء في حياتها العامة . ذلك أن التطورات السياسية العميقة تحدث أثرها دائما في سائر نواحي الحياة الاجتماعية والفكرية لامة من الأمم ؛ وقد كان تكوين مصر الاجتماعي في العصر الحديث وليد تطورات وأحداث سياسية خاصة ، تختفي اليوم من الافق ليحل محلها عهد جديد بكل معاني الكلمة ؛ وسيحدث العهد الجديد أثره في حياتنا الاجتماعية والفكرية ؛ وستتوقف آثاره وتنتججه على مبلغ ما تبديه مصر ذاتها من استعداد وطموح

ومن المعروف أن العوامل المعنوية في تقدم الأمم تسبق العوامل المادية دائما ؛ ومصر الآن في مستهل المرحلة الأولى من العهد الجديد أى في طور التكوين المعنوي الذي يلائم هذا العهد . ولما كانت هذه المرحلة من ألق المراحل في حياة الأمم الناهضة ، فانه يجب على مصر أن توليها أوفر عناية حتى تستطيع أن تشيد خلالها تكوينها المعنوي الجديد على خير الأسس التي تمهد لها طريق التقدم والنهوض

فهرس العدد

صفحة

- ٢٢١ ثقافة مصر المستقلة . . . : الأستاذ محمد عبد الله عنان
 ٢٢٣ النحو . . . : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
 ٢٢٦ صالبيك الصحافة . . . : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
 ٢٢٩ موضوعات الأدب في الدين { الأستاذ غري أبو السعود
 العربي والانجليزي . . .
 ٢٢٢ بين تلتوى وماكس نورود : الأستاذ عبد الرحمن شكرى
 ٢٢٥ في الصحراء . . . : الأستاذ عبد المنعم خلاف
 ٢٢٦ مصر من الخطاب . . . : الأستاذ على الطنطاوى
 ٢٢٠ دجلة الجاحظ . . . : الاديب محمد فهمى عبد اللطيف
 ٢٢٢ شقية (قصيدة) . . : السيد عمر أبو ريدة
 ٢٢٣ أترانا فرانتين ٥ . . : الأستاذ خليل هندواى
 ٢٢٤ النفس وظاودها عند ابن سينا : الدكتور ابراهيم بيومى مذكور
 ٢٢٧ تاريخ العرب الادبي . . : الأستاذ نيكلسون
 ٢٢٠ الفن المصرى . . . : الدكتور احمد موسى
 ٢٢٢ أونجين ليوشكين - أدب راسين
 ٢٢٤ وثيقة فرعونية عن المعاملات الشخصية - ذكرى يوشكين حميد
 الشعر الروسى .
 ٢٢٥ حول التاريخ الألقى للأزهر - الذكرى السنوية الأولى للزهاوى
 ٢٢٦ التنبؤ مع طه حسين (كتاب) : الدكتور محمد عوض محمد
 ٢٢٩ موسم الفرامة الانجليزي .
 ٢٢٩ ملاك الموت في اجازة . . : يوسف نادرس
 ٢٢٠ صليل . . .

ثقافة أجنبية بعينها ، وأن تنظر إلى مختلف الثقافات والحضارات نظرة واحدة تأخذ منها جميعا ما يصلح لانشاء ثقافتها الخاصة ، وان تنسق ذلك المزيج المستخلص من الثقافات المحدثه وتدعمه بالعناصر القومية التي تسع عليه طابعه القومى المنشود والمعروف أن الثقافات القومية تعتمد دائما على أمور جوهرية منها اذكاء الروح والتقاليد الوطنية ، وتقوية اللغة القومية ، وتدعيم المثل الأخلاقية . والعناية بالتاريخ القومى ، وتقديم الشؤون والدراسات القومية على غيرها . ولا مرية في أن ثقافتنا الحالية ضعيفة في معظم هذه النواحي ، فهي بعيدة أولا عن ذينك التخصيص والاستيعاب اللذين تأخذ بهما جميع الثقافات المستقلة في الدراسات القومية . بل يلاحظ بحق أن ثقافتنا الحالية تعتمد على المعلومات والدراسات السطحية العامة ، فقتبس القليل السطحي من كل شيء ، ولا توجه إلى التخصص والاتقان في شيء ؛ وهذا عيب جوهرى يجب تداركه بأسرع ما استطاع ، ثم ان ثقافتنا لا تكفى بصورتها الحالية لتغذية الروح الوطنى الناشئ ، لأن أنظمتها وبرامجها الحالية وضعت في جو خائق من الريب والحجر على العواطف والأمانى الوطنية ، فوجب أن تبحث من جديد في ظل العهد الحر الجديد . وان تفسح مجالا لكل ما يعاون في تنمية الروح الوطنى ؛ ومن جهة أخرى فقد لبثت اللغة القومية . أعنى اللغة العربية ، عصر أضحية هذه السياسة القديمة ، ولولا أنها استطاعت أن تقاوم ضغط الأجنى بكل ما فيها من حيوية ، وأن تشق لنفسها طريقها المستقل خارج المعاهد الحكومية في الآفاق الحرة ، لما استطاعت أن تنهض كما تنهض اليوم ؛ يد أنه لا يزال علينا أن نحرقها من شوائب المؤثرات والمنافسات الأجنبية التي تعرقل نهضتها ، والتي هي من بقايا عهد طويت صفحته ، فاللغة العربية يجب أن تنبأ مقامها الأول في كل معاهدنا ودراساتنا كلعنة أصيلة لا تنافسها في هذا المقام أية لغة ، ويجب أن تكون لغة التربية والتعليم في كل مراحل الدراسة ، إلا ما اقتضته مصلحة الدراسة ذاتها ؛ ويجب أن يحتق من معالم حياتنا العامة ذلك المزيج المؤلم من لغات أجنبية يستعمل بلا ضرورة في كثير من دوائرننا ومصالحنا الحكومية ، بل وفي بعض بيئات مجتمعاتنا الرفيع ، فقد حان الوقت الذى يجب ان تحتق فيه هذه الآثار الأخيرة التي ترمز إلى سيادة فكرية او اتفاقية اجنية لا وجود لها اليوم أما عن دراسة التاريخ القومى التي هي اليوم من دعائم

ولا ريب أن الثقافة القومية هي أقوى دعامة يقوم عليها كيان الأمة المعنوى ؛ وقد قطعت مصر بالفعل في هذا الميدان خطواتها الأولى ، حتى قبل أن تحقق استقلالها السياسى ؛ ولكنها مازالت في مفترق الطرق تنقصها عناصر الاستقرار في توجيه ثقافتها الجديدة . وهذا التردد طبعى في تكوين الثقافات القومية الناشئة ؛ يد أنه يجب ألا يطول عهده ، ويجب أن تحمل مكانه عوامل الاستقرار المنشود بسرعة ؛ وعندئذ يدأ بناء الصرح المعنوى الذى يقوم عليه كل شيء في حياة الأمة الجديدة ومصر تتمتع اليوم بثقافة حسنة ، ولكن ينقصها كثير من العناصر القومية الحيوية . ومن الصعب أن نحدد لون هذه الثقافة أو نوعها ، فهي اليوم مزيج متباين من ثقافات مختلفة يرجع تكوينه إلى ظروف مصر السياسية والاجتماعية في العصر الأخير . ولقد قيل في مناسبات كثيرة إن مصر تتمتع بنوع من الثقافة اللاتينية وان هذا النوع من الثقافة . أعنى اللاتينية . هو خير ما يلائم عقلية مصر ومشاعرها ، كأمة من أمم البحر الأبيض المتوسط الذى تغمر هذه الثقافة ضفافه الشمالية منذ العصور الوسطى . وان الأمر يتعلق هنا بعوامل جغرافية واجتماعية لا سبيل إل إنكارها ؛ يد أننا نشك في صواب هذه النظرية ؛ والواقع أنه إذا كانت الثقافة اللاتينية أو بعبارة أخرى الثقافة الفرنسية قد غلبت على الثقافة المصرية في القرن التاسع عشر ، فان ذلك يرجع بالأخص إلى حوادث وظروف تاريخية طارئة ، أخصها مقدم الحملة الفرنسية إلى مصر . وما بذلت خلال مقامها القصير بمصر من مجهودات علمية وثقافية محمودة ، وما كان من اعتماد محمد على بعد ذلك على نصيح المستشارين والعلماء الفرنسيين في تنظيم ثقافة مصر الجديدة ؛ هذه هي الظروف والعوامل الحقيقية التي نشأ فيها لون ثقافتنا اللاتينية ، ولا دخل هنا للعوامل الجنسية والجغرافية في هذا التطور الثقافى الطارىء ؛ والدليل على ذلك أن طابع ثقافتنا الفرنسية قد ضعف في العصر الأخير ، وقوى فيها الطابع السكسونى نظراً لتغلب النفوذ الانكليزى في شؤون التربية والتعليم ، وتسرب العوامل الثقافية الجديدة إلى المجتمع المصرى والآن ومصر في مستهل عهد جديد من تاريخها يمتاز بأفائه الحرة المستقلة ، نرى أنه يجب على مصر أن تعمل ، كما تعمل جميع الأمم المستقلة الناهضة على أن تطبع ثقافتها الجديدة بطابع قومى واضح ؛ وأول ما يجب عليها في ذلك هو أن تجانب اصطفااء

النحو

الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

النحو علم لا أعرف منه إلا اسمه . وما أكثر ما أجهل وأضال ما أعرف ! ولو كنت وجدت من يعلنه لتعلت وما قصرت . وكيف بالله تنتظر مني أن أعرفه بالفطرة والالهام . . . كان أول من قيل لنا إنه معلم نحو رجلاً قاسياً سىء الطباع سريع البادرة ، وكانت له عصاً قصيرة من الخيزران يدسها في كفه ، حتى إذا أمن أن يراه الناظر أخرجها وسلطها على أجسامنا الصغيرة وأهوى بها على أيدينا وجنوبنا ورؤوسنا فلا يتركنا إلا بعد أن ينقطع نشيجنا وتخفت أصواتنا وتذهب عنا القدرة على الصراخ والاستجداء ، فلم يكن أبغض إلينا من درسه . ومن المضحك أن ذلك لم يكن يخيفنا منه ولا يزيدنا إلا إلحاحاً في معابته . وكنت أنا أقل التلاميذ عليه وأبغضهم إليه ، لأنني كنت - وأحسب أذكر - مازلت - شيئاً صغيراً جداً وخفيفاً مستدقاً لا أستقر في مكان ، ولا أزال أنط من هنا إلى هنا ولا يكف لساني عن الدوران . فكان نصيبي من هذه العلاقات النصيب الأوفر وحظي هو الأجل . وكان الناظر فيه سذاجة عجبية لم نفتنا نحن الأطفال . وكيف كان يمكن أن يفوتنا التفطن إلى سذاجته ونحن مئات من الأطفال لنا مئات من العيون نفحصه بها ، ومئات أخرى من الآذان والرووس تسمعه وتقدر أمره وتجسه وتختبره . . . فكنت أذهب إليه وأقول له على سبيل الملق والدهان : « يا سعادة البك ، فلتفت بوجهه الكبير إلى ويقل على بابتسامته البلباء ، فقد كانت الرتبة جديدة وفرحه بها عظيماً . ويسألني « مالك يا امن (بالميم فقد كان أخن) عبد القادر ، فأقول له : « يا سعادة البك ، الشيخ فلان يا سعادة البك معه عصا يخفيها في كم القفطان ويضربنا بها يا سعادة البك ، وكنت صادقاً ولكنه لم يكن يعرف أنني صادق : غير أنه كان يسمع « سعادة البك ، تصافح أذنه مرات عديدة في نصف دقيقة فيطرب ، ويصرفه الطرب عن التثبت فيقول لي - متأمراً - « طيب . رح انت إلى الفصل وعما كسه ، اي والله كان يحرضني

الروح الوطني في جميع الأمم المستقلة ، فن الاسف أنها انتهت في العصر الراحل إلى حالة يرثى لها : وما زال التاريخ القومي يغمط حقه من جميع النواحي ، وما زلنا نتلقى عن تاريخ الامم والحضارات والشخصيات الأجنبية أضعاف ما نتلقى عن تاريخنا وتاريخ شخصياتنا وحضارتنا ، ولم يكن ذلك غريباً في عهد السيادة الأجنبية لأنها تعرف بخبرتها في طبائع الشعوب ومشاعرها أن الأمم ذات التواريخ الحافلة المجيدة ، تبرز في عصور الضعف والانحلال لذكرياتها القديمة ، وتستمد منها الوحي والقوة في مغالبة الخطوب وشحن الشعور الوطني ؛ وقد كانت أساليب التربية القديمة ترمي إلى محاربة ذلك الشعور وإضعافه ، وكان التاريخ القومي من العناصر الثقافية التي قضى عليها بالمسخ والمحو تقريباً ؛ أما اليوم فإن الاستقلال الوليد في أشد حاجة لأن نحيطه بسياج من تاريخنا القومي ، وأن تودد دعائمه بما يبعثه إلى نفوسنا استعراض هذا التراث الحافل من اعتزاز وطموح إلى استئناف تاريخنا المجيد ، وربط مستقبلنا بماضينا ، وهذا عنصر في تغذية الشعور القومي تعرفه الامم المستقلة وتغني به أشد عناية

وأخيراً يجب ألا ننسى ما للناحية الخلقية في تكوين الثقافة القومية من أهمية خاصة . ولنا حاجة لأن ندلل على أن المثل الأخلاقية الرفيعة يجب أن تكون غاية الغايات في كل ثقافة عظيمة ؛ فإذا كان الماضي قد طوى بسيثائه ومثالبه المعنوية فن أزم واجباتنا في العهد الجديد أن نعمل على إخراج جيل جديد يتمتع بالجرأة والصراحة واستقلال الرأي وسلامة التفكير والتقدير ؛ فهذه القوى المعنوية والأخلاقية ضرورية لحماية الاستقلال القومي ضرورة الجيوش ذاتها

والخلاصة أن ثقافتنا الجديدة يجب أن تكون وليدة ثورة حقيقية ، سواء في نظمها أو روحها أو مادتها ؛ يجب ألا تكون ثقافتنا المستقلة كما كانت في الماضي ، معتزلة لتنافس الثقافات والمؤثرات الأجنبية المختلفة ، بل يجب أن تكون ثقافة مصرية خالصة ، حرة من كل تيار غير مرغوب فيه ؛ ويجب أن تكون ثقافتنا غزيرة عميقة في نفس الوقت ، تأخذ بالتخصيص في جميع الدراسات والشؤون الجوهرية ، ولا تتخلو مع ذلك من التعميم النافع ؛ وأخيراً يجب قبل كل شيء أن يتبوأ الطابع القومي مقامه الأول في صوغ ثقافتنا وفي توجيهها ؟ محمد عبد الله غنانه

على معا كسة الشيخ المسكين ليضبطه - كما يقال - مثل بساً بالجريمة ،
أو كان يكتفى بأن يأمرني بالعودة إلى الفصل ثم يدخل هو
ويفاجئني الشيخ بانتزاع العصا من كفه ويوجه أمامنا وينصرف .
فتصبح أربعون حجرة جديدة ، هيه ، فيكاد الشيخ يحن وينهال
علينا ضرباً بالدين والرجلين فتتكشف سراويلاته فيعلو الصياح
من جديد ، ولكنه يكون قد تعب وأضناه الجهد وبهر أنفاسه
العدو وراءنا فيقف وهو ينهج ويخرج المندبل من جيب القفطان
ويمسح به الغرق المتصبب ونحن جميعاً نتكلم وليس بيننا واحد
يصفى إلى ما يقال

هذا كان أستاذنا في النحو . ولو أنه كان موفقاً في التعليم
لكان الناظر وحده كفيلاً بإفساد الأمر عليه . فقد كان يتظاهر
بالعلم بكل شيء وهو لا يعرف شيئاً . فإذا تورط ولم يسعه إلا
الاعتراف بجهله قال : « جاهل جاهل . لكن إداري تمام . ومن
ظريف ما أذكره من نوادره أنه دخل علينا في درس ترجمة وكان
المعلم غائباً . ولم يكن هو يعرف ذلك وإن كان فيما يزعم إدارياً
حاذقاً . ولكنه سمع ضججتنا العالية فسأل فقيل له إن هذه الفرقة
ليس فيها معلم ، فلم يندب غيره بل جاء هو إلينا بنفسه وبطوله
وعرضه وسألنا : « مالكم يا أولاد ؟ ، قلنا : « يا سعادة البك المعلم
غائب ، قال : « الدرس إليه ، قلنا : « ترجمة يا سعادة البك ، فلنشرح
صدره واغبط وأيقن أنه سيظل يسمع منا ما يسره فقال : « طيب
وايه يعني ؟ ، فقلنا : « يا سعادة البك لم نفهم الدرس السابق يا سعادة
البك ، فسأل عن هذا الدرس السابق الذي استعصى علينا فقلنا له
أنه كان يحاول أن يعلمنا النقي في اللغتين العربية والانجليزية ولكننا
لم نفهم عنه . فأعزب لنا عبارات صريحة عن دهشته وتعجبه
لوزارة المعارف التي تعين مدرسين لا يحسنون تفهيم التلاميذ ،
وأكد لنا أنه يعطف علينا لأننا نؤدي للوزارة أجور التعليم كاملة
ولا تتعلم مع ذلك شيئاً . ثم قال إن المسألة بسيطة وأن النقي سهل
جداً وأن أدواته في اللغة العربية معروفة وهي : لا ولم ولن الخ ،
والأمثلة سهلة ومعروفة ، وشرح يسوق الأمثلة . فلما بلغ « لم ،
قال : مثلاً . « لم كتب . لم ضرب . لم ذهب ، فانفجرنا ضاحكين
وكان لنا العذر . وكيف لا نضحك من « لم كتب ولم ضرب ،

فلما سكنت العاصفة بعض السكون قال يوبخنا ويزجرنا ويعظنا :
« تضحكون ؟ .. أبكون .. أبكون .. ، فلم يبق منا طفل على
مقعده من شدة الضحك . ولم يسكتنا الخوف منه وإنما أسكتنا
الآلم الذي صرنا نحسه في بطوننا من الضحك الطويل

هذا في التعليم الابتدائي . أما في التعليم الثانوي فقد كان أول
معلم لي فيه مصاباً بالربو ، فكان لا ينفك يسعل ويتفل حتى توجعنا
بطوننا . ولهذا كنا ننام في درسه أو نهرب منه اتقاء لوجع البطن .
ثم صار لنا معلم آخر وكان سياسياً ولكنه كان في هذا نسيج
وحده ، فكان يغلق النوافذ ليأمن أن يسمع أحد ما ينوي أن
يقول - أعني ما ينوي أن يفضي إلينا به من الأسرار . ثم يشرع
في الحديث فيصف لنا كيف كان الحكم المصري على عهد الخديو
اسماعيل ظالماً ، فنجدله ويتقضى الدرس كله في هذا الجدل العجيب .
ولست أدري لماذا كان يحشم نفسه بإغلاق النوافذ . ولو أن
الناظر الانجليزي سمعه لكان حقيقاً أن يسر لأن يغضب ، ولكنني
أحبه كان يفعل ذلك ليكون تأثير كلامه في نفوسنا أبلغ .
والعجب بعد ذلك أن تلاميذه كلهم صاروا وطنيين متطرفين في
وطنيتهم لا خونة لبلادهم كما كان يشتهي هو أن يكونوا

فمن كنت أتعلم النحو بالله ؟ . وما الذي كان يمكن أن يغربني
أن أتعلمه وحدي ؟ . ثم ما فائدة هذا النحو الذي لم أتعلمه ولم احتج
إليه . . . وعسى من يسأل : « وكيف كنت تصنع في الامتحانات ؟
فأقول إنني كنت أقرأ ورقة الأسئلة وأترك النحو إلى آخر الوقت
ثم أتناوله وأروح أجمع طائفة من الأمثلة أستخلص منها القاعدة
فأجعل هذا جوابي . ولا شك أنه كان لا يخلو من نقص ولكنه
لم يكن خطأ كله . هذه كانت طريقتي وقد استعنت بها عن حفظ
ما في كتب النحو . وأراني الآن أصبحت كاتباً - وقد كنت في
زمانى شاعراً كذلك - وقد وسعنى هذا وذاك بغير معونة من
النحو . بل من غير أن أتعلم العروض . وأذكر أني وأنا في مدرسة
المعلمين العليا كان الشيخ حمزة فتح الله هو الذي يتولى امتحاناتنا
في اللغة العربية - على الأقل في إحدى السنين - وكان من أعضاء
اللجنة التي هو رئيسها الشيخ عبد العزيز شاويش وفتح الله بركات
بك وأستاذنا في المدرسة : وكنا ندخل على اللجنة واحداً واحداً

فلم أعد أدري أيهما الصواب وأيها الخطأ، ثم ذهبت أنظر إليهما فالذي سكنت إليه نفسي أخذت به وتبينت بعد ذلك أن ما أخذت به كان هو الصحيح وأن عيني لم تخدعني وأن نفسي إنما اطمأنت إلى ما طال عهدا به من الصواب. أما ما لم تألفه أثناء مطالعتي فقد رفضته. والطريقة التي أشير بها تجعل العربية سليقة على خلاف ما هو حاصل الآن فإن أبناءنا يتعلمون العربية كما يتعلمون الإنجليزية أو أية لغة أجنبية أخرى لا يشعرون بصلة بينها وبين نفوسهم. وكثيرا ما يتفق أن يخرج التلميذ وهو أعرف باللغة الأجنبية منه بالعربية. وليس بعد هذا فشل والعياذ بالله. وأسأل من شئت فلن تجد أحدا لا يقول لك إن اللغة العربية انحطت - أعني ضعف العلم بها - في هذا الجيل. ولست أعرف لهذا سببا إلا أن التلاميذ لا يتعلمون اللغة وإنما يحفظون نحوا وصرفا وبلايا كثيرة أخرى مثل البلاغة الخ لا تعلمهم اللغة. وإنما تبغضها إليهم، فإذا كان التبغض هو الغاية المنشودة فلا شك أن المعلمين قد وفقوا إلى ما لا مزيد عليه. أما إذا كان الغرض هو تعليم اللغة فخير الأساليب هو الأسلوب الطبيعي الذي يتعلم به الطفل الكلام

ابراهيم عبد القادر المازني

أدب أولف

لبنان كونستان الفرنسي

عزيم الكوكب حسن مازني

أحمد بن محمد الأحمدي وأحمد بن محمد الأحمدي
تحت إشراف الدكتور محمد بن محمد بن محمد
جبران عظيم العظمي من بيت الزهور

وتمت ٢٠ وتبليغ المكتبة الشاذلية الكبرى بمصر
والكتاب الكبير الأخرى

كما هي العادة فأخبرني الذين سبقوني إلى أداء الامتحان أن الشيخ حمزة عليه رحمة الله يفتح كتاب النحو والصرف ويأمر الطالب أن يسمعه الباب الفلاني، وكانت هذه مبالغة ولكن صدقناها، فأيقنت أنني مخفق ووطئت نفسي على معركة. وجاء دوري فدخلت، فتناولني مقدمة ابن خلدون وقال افتحها في أي موضع وقرأ، ففعلت، فأمرني أن أضع الكتاب وشرع يسألني عن كلمة العبدوان، ما فعلها الثلاثي ولماذا يقال اعتديا - بفتح الدال للماضي - واعتديا بكسرهما للامر. فلم أعرف لهذا جوابا، فقلت: هكذا نطق العرب وعندهم أخذنا. فألح في طلب الجواب المرضي فقلت: إن اللغة نشأت قبل القواعد. وأنا أنطق وأكتب وأقرأ كما كان العرب يفعلون من غير أن يعرفوا قاعدة أو حكما، فسأله جوابي ونهرني وخشى الشيخ شايش العاقبة فقال له: يا مولانا. العصر وجب، فنهض الشيخ حمزة لصلاة العصر وتركني لزملائه فأسرعوا في امتحاني قبل أن يفرغ الشيخ ويعود وأحسب أن ماوسع العرب الأولين من معرفة العربية بلا نحو لا يعجز عنه أبناء هذا الزمان. ومن الميسور فيما أعتقد أن تحل قراءة الأدب العربي تحل النحو. وليس يعجز رجال العربية عن وضع مختارات صالحة لكل سن. وإذا كان لابد من النحو فليكن ذلك عرضا وأثناء القراءة وعلى سبيل الشرح وللاستعانة به على الفهم، وعلى ألا يكون ذلك درسا مستقلا يؤدي فيه امتحان. أما الطريقة التي يتعلم بها أبناءنا العربية فاني أراها مقلوبة لأنها تبدأ بما يجب الانتهاء إليه. ومن ذا الذي يتصور أن صبيا صغيرا يستطيع أن يفهم ما الفعل وما الاسم وما الحرف، وأن هذا يكون حكمه كيت وكيت وذاك يجري عليه كذا وكذا من... وأن هذه الفتحات والضمت والكسرات علامات إعراب أو لا أدري ماذا هي، وأن لفظا يكون مسندا ولفظا آخر يكون مسندا إليه إلى آخر هذه الألغاز التي لا يعقل أن يدركها طفل صغير. بل إنني أنا الكبير أردت منذ بضعة أيام أن أراجع شيئا في النحو ففتحت وقرأت فيه شيئا ثم وضعته يائسا من الفهم ولجأت إلى وسيلة أخرى كانت أجدي على من هذا الكلام الذي أراه يفهم، وذلك أني كتبت الوجهين اللذين حرت بينهما واختلط على الأمر فيهما

٣ - صعاليك الصحافة . . .

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

ولم يلبث أن رجع أبو عثمان في هذه المرة وكأنه لم يكن عند رئيس التحرير في عمل وأدائه ، بل كان عند رئيس الشرطة في جنائيه وعقابه . فظهر منقلب السحنة انقلاباً دميماً ، شوه تشويهاً وزاد فيه زيادات ورأيتُه عموط الوجه مطاً شنيعاً ، بدت فيه عيناه الجاحظتان كأنهما غير مستقرتين في وجهه ، بل معلقتان على جبهته . . .

وجعل يضرب إحدى يديه بالأخرى ويقول : هذا بابٌ على حدة في الامتحان والبلوى ، وما فيه إلا المثونة العظيمة والمشقة الشديدة ؛ والعمل في هذه الصحافة إنما هو امتحانك بالصبر على اثنين : على ضميرك ، وعلى رئيس التحرير . « وسأل بعض أصحابنا أبا لقمان المروور عن الجزء الذي لا يتجزأ ما هو ؟ فقال : الجزء الذي لا يتجزأ على بن أبي طالب عليه السلام . . . فقال له أبو العيلاء محمد : أفليس في الأرض جزء لا يتجزأ غيره ؟ قال : بلى . حمزة جزء لا يتجزأ . . . قال : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ قال : أبو بكر يتجزأ . . . قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : يتجزأ مرتين ، والزبير يتجزأ مرتين . . . قال : فأى شيء تقول في معاوية ؟ قال : لا يتجزأ

فقد فكرنا في تأويل أبي لقمان حين جعل الأنام أجزاء لا يتجزأ إلى أى شيء ذهب ؟ فلم نقع عليه إلا أن يكون أبو لقمان كان إذا سمع المتكلمين يذكررون الجزء الذي لا يتجزأ ، هاله ذلك وكبر في صدره وتوهم أنه الباب الأكبر من علم الفلسفة ، وأن الشيء إذا عظم خطره سموه بالجزء الذي لا يتجزأ ، (١)

قلت : ورجع بنا القول الى رئيس التحرير . . .

فضحك حتى أسفر وجهه ثم قال : إن رئيس التحرير قد تلقى الساعة أمراً بأن الجزء الذي لا يتجزأ اليوم هو فلان : وإن فلانا الآخر يتجزأ مرتين . . . وأن المعنى الذي يبنى عليه رأى الصحيفة

(١) هذه الجملة من كلام الجاحظ

في هذا النهار هو شأن كذا في عمل كذا ؛ وأن هذا الخبر يجب أن يصور في صيغة تلائم جوع الشعب فتجعله كالخبز الذي يطعمه كل الناس وتثير له شهوة في النفوس كشهوة الأكل ، وطبيعة كطبيعة الهضم . . . وقد رمى إلى رئيس التحرير بحملة الخبر ؛ وعلى أنا بعد ذلك أن أضرم النار وأن أجعل التراب دقيقاً أيضاً يُجبن ويُخبز ويؤكل ويسوغ في الحلق وتستمره المعدة ويسرى في العروق

وإذا أنا كتبت في هذا احتجت من الترقيع والتمويه ، ومن التدليس والتغليط ، ومن الحية والمكر ، ومن الكذب والبهتان - إلى مثل ما يحتاج إليه الزنديق والدهري والمعطل في إقامة البرهانات على صحة مذهب عرف الناس جميعاً أنه فاسد بالضرورة إذ كان معلوماً من الدين بالضرورة أنه فاسد . وأين ترى إلا في تلك النحل وفي هذه الصحافة أن ينكر المتكلم وهو عارف أنه منكبر ، وأن يجترى وهو موقن أنه يجترى ، ويكابر وهو واثق أنه يكابر ؟ فقد ظهر تقدير من تقدير ، وعمل من عمل ، ومذهب من مذهب ؛ والآفة أنهم لا يستعملون في الإقناع والجدل والمغالطة إلا الحقائق المؤكدة ؛ يأخذونها إذا وجدت ويصنعونها إن لم توجد ، إذ كان التأثير لا يتم إلا بجعل القارىء كالحالم يملكه الفكر ولا يملك هو منه شيئاً ، ويلقى اليه ولا يمتنع ، ويعطى ولا يرُد على من أعطاه

قلت : ولكن ما هو الخبر الذي أرادوك على أن تجعل من تراه دقيقاً أيضاً ؟

قال : هو بعينه ذلك الشأن الذي كتبت فيه لهذه الصحيفة نفسها ، أنقضه وأسفقه وأرد عليه وكان يومئذ جزءاً يتجزأ . . . فلما صنعت اليوم بلاغتي في تأييده وتزيينه والإشادة به ، ولم يكن هذا كاسراً لي ، ولا حاثلاً بيني وبين ذات نفسي - فلا أقل من أن يكون الجاحظ تكذيباً للجاحظ . أه لو وضع الرديو في غرف رؤساء التحرير لسمع الناس . . .

قلت : يا أبا عثمان . هذا كقولك : لو وضع الرديو في غرف قواد الجيوش أو رؤساء الحكومات

قال : ليس هذا من هذا فإن للجيش معنى غير الخندق في تدبير

الوقت ، فهم يأخذون السياسة مأخذ من لا يشارك فيها ، ويتعاطون الجدل تعاطي من يلهو به ، ويتلقون الأعمال بروح البطالة ، والعزائم بأسلوب عدم المبالاة ، والمباحثة بفكرة الإهمال ، والمعارضة بطبيعة الهزل والتحقير . وهم كالمصلين في المسجد ؛ فمثل نفسك نوعاً من المصلين إذا اصطفوا وراء الإمام تركوه يصلي عن نفسه وعنهم وأنصرفوا . . .

قال أبو عثمان : بهذا ونحوه جاءت الصحف عندنا وأكثرها لا ثبات له إلا في الموضوع الذي تكون فيه بين منافعها ووسائل منافعها ؛ ومن هذا ونحوه كان أقوى المادة عندنا أن تظهر الصحيفة مملوءة بحكومة وسلطة وباشاوات وبيكوات . . . وكان من الطبيعي أن يحل الباشا والبك والحوادث الحكومية التفهية لا يكون من الجريدة إلا في موضع قلب الحى من الحى .

ثم استضحك شيخنا وقال : لقد كتبت ذات يوم مقالة أقترح فيها على الحكومة تصحيح هذه الألقاب ، وذلك بوضع لقب جديد يكون هو المفسر لجميعها ويكون هو اللقب الأكبر فيها ، فإذا أنعم به على إنسان كتبت الصحف هكذا : أنعمت الحكومة على فلان بلقب (ذو مال) .

ودق الجرس يدعو أبا عثمان إلى رئيس التحرير . . .

فلم يلبث إلا يسيراً ثم عاد متهللاً ضاحكاً وقد طابت نفسه فليس له جحوظ العينين إلا بالقدر الطبيعي ، وجلس إلى وهو يقول :

يبد أن رئيس التحرير لم ينشر ذلك المقال ، ولم يرفيه استطرافاً ولا ابتكاراً ولا نكتة ولا حجة صادقة ، بل قال كأنك يا أبا عثمان تريد أن يأكل عدد اليوم عدد الغد ، فإذا نحن زهدنا في الألقاب وأصغرنا أمرها وتهكمنا بها وقلنا إنها أفسدت معنى التقدير الانساني وتركت من لم ينلها من دوى الجاه والغنى ، يرى نفسه إلى جانب من نالها كالمرأة المطلقة بجانب المزوجة . . . وقلنا انها من ذلك تكاد تكون وسيلة من وسائل الدفع إلى التملق والخضوع والتفاني لمن يدهم الأمر ، أو وسيلة إلى ما هو أخطر من ذلك كما كان شأنها في عهد الدولة العثمانية البائدة حين كان

المعاش والتكسب وجمع المال ؛ وفي أسرارها أسرار قوة الأمة وعمل قوتها ؛ وللحكومة دخائل سياسية لا يحركها أن فلانا ارتفع وأن فلانا انخفض ، ولا تصرفها العشرة أكثر من الخمسة ؛ وفي أسرارها أسرار وجود الأمة ونظام وجودها

قال أبو عثمان : وإنما نزل بصحافتنا دون منزلتها أنها لا تجد الشعب القارى المميز الصحيح القراءة الصحيح التمييز ، ثم هي لا تريد أن تذهب أموالها في إيجاد وتنشئة . وعمل الصحافة من الشعب عمل التيار من السفن في تحريكها وتيسير مجراها ، غير أن المضحك أن تيارنا يذهب مع سفينة ويرجع مع سفينة . . . ولو أن الصحافة العربية وجدت الشعب قارئاً مدركاً مميّزاً معتبراً مستبصراً لما رمت بنفسها على الحكومات والأحزاب عجزاً وضعفاً وفسولة ، ولا خرجت عن النسق الطبيعي الذي وضعت له ، فإن الشعب تحكمه الحكومة ، وإن الحكومة تحكمها الصحافة ، فهي من ثم لسان الشعب ؛ وإنما يقرأها القارى ليرى كلمته مكتوبة . وشعور الفرد أن له حقاً في رقابة الحكومة وأنه جزء من حركة السياسة والاجتماع هو الذى يوجب عليه أن يتابع كل يوم صحيفة اليوم

قال أبو عثمان : فالصحافة لا تقوى إلا حيث يكون كل إنسان قارئاً ، وحيث يكون كل قارىء للصحيفة كأنه محرر فيها ، فهو مشارك في رأى لأنه واحد من يدور عليهم الرأى ، متابع للحوادث لأنه هو من مادتها أو هي من مادته ، وهو لذلك يريد من الصحيفة حكاية الوقت وتفسير الوقت ، وأن تكون له كما يكون التفكير الصحيح للفكر ، فيلزمها الصدق ويطلب منها القوة ويلتمس فيها الهداية ، وتأتى إليه في مطلع كل يوم أو مغربه كما يدخل إلى داره أحد أهله الساكنين في داره

وفي قلة القراء عندنا آفتان : أما واحدة فهي القلة التي لا تغنى شيئاً ، وأما الأخرى فهم على قلتهم لا ترى أكبر شأنهم إلا عبادة قوم لقوم ، ووزارة أناس بآخرين ، وتعلق نفاق بنفاق ، وتصديق كذب لكذب . وآفة ثالثة تخرج من اجتماع الاثنين : وهي أن أكثرهم لا يكونون في قراءتهم الصحيفة إلا كالنظارة اجتمعوا ليشهدوا ما يلهون به ، أو كالقراغ يلتسون ما يقطعون به

اتفاقاً ، ثم دفعها إلى وقال : اقرأ ولا تجاوز عنوان كل مقالة .
فقرأت هذه العناوين :

« مسؤلية طبيب عن فتاة عذراء . » ، « مودة الرافعات
الصينيات » ، « تخر مغشياً عليها لأنهم اكتشفوا صورة حبیبها ،
« هل يعتبر قبول الهدية دليلاً على الحب ، وإذا كانت ملابس
داخلية . . . فهل تعتبر وعداً بالزواج ؟ » ، « هل يحق للأب أن
يطالب صديق ابنته . . . بتعويض إذا كانت ابنته غير شرعية » ،
« بين خطيبتين لشاب واحد » ، « بعد أن قص على زوجته أخبار
السيرة . . . لماذا أطلقت عليه الرصاص ؟ » ، « عروس تأخذ
(شبكة) من شاين ثم تطردهما » ، « زوجة الموظف أين ذهبت ،
« لماذا خطفت العروس في اليوم المحدد للزفاف ؟ » ، « في الطريق -
حب بالأكراه » ، « فلانون وفلاننات ، زواج وطلاق ، وأخبار
المراقص ، وحوادث أماكن الدعارة الخ .

فقال أبو عثمان : هذه هي حرية النشر ؛ ولئن كان هذا طبيعياً
في قانون الصحافة إنه لأثم كبير في قانون الترية ؛ فان الأحداث
والضعفاء يجدونه عند أنفسهم كالتخيير بين الأخذ بالواجب وبين
تركه ، ولا يفهمون من جواز نشره إلا هذا . « وباب آخر من
هذا الشكل فبكم أعظم حاجة إلى أن تعرفوه وتقفوا عنده ، وهو
ما يصنع الخبر ولا سيما إذا صادف من السامع قلة تجربة ، فان
قرن بين قلة التجربة وقلة التحفظ - دخل ذلك الخبر إلى مقمره
من القلب دخولاً سهلاً ، وصادف موضعاً طيباً وطبيعة قابلة
ونفساً ساكنة ، ومتى صادف القلب كذلك رسوخاً لاحتلة
في إزائته

ومتى ألقى إلى الفتیان شيء من أمور الفتيات في وقت الفرازة
وعند غلبة الطبيعة وشباب الشهوة وقلة التشاغل و . . . (١)

ودق الجرس يدعو أبا عثمان إلى رئيس التحرير . . .

(لها تمة) (طنطا) مصطفى صاري الرافعي

(١) هذه الجملة من كلام الجاحظ

الحكم في قضية (الذل المسكين) تلقينا ارسين حكاً في هذه القضية واستجمع اللجنة
لاختيار ما تشفق فيه شرطنا وهو « احسان الكتابة » ثم نعان حكماً
الرافعي

الوسام كالرقعة من جلد الدولة ، يرقع بها الصدر الذي شقوه
وانزعوا ضميره ، اذا نحن قلنا هذا وفعلنا هذا ، لم نجد الشعب
الذي يحكم لنا . ووجدنا ذوى المال والجاه والمناصب الذي يحكمون
علينا ، فكنا كمن يتقدم في التهمة بغير محام إلى قاض ضعيف .
يا أبا عثمان انما هي حياة ثلاثة أشياء : الصحيفة ، ثم الصحيفة ،
ثم الحقيقة . . . فالفكرة الأولى للصحيفة والفكرة الثانية هي
للصحيفة أيضاً . ومتى جاء الشعب الذي يقول : لا . بل هي
الحقيقة ، ثم الحقيقة ، ثم الصحيفة - فيومئذ لا يقال في الصحافة
ما قيل لليهود في كتاب موسى : يجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيراً .

قلت : أراك يا أبا عثمان لم تنكر شيئاً من رئيس التحرير في
هذه المرة ، فشق عليك ألا تلبه ، فغمزته بالكلام عن مرة سالفه .

قال : أما هذه المرة فأنا الرئيس لا هو ، وفي مثل هذا
لا يكون عملك أبو عثمان من (صعاليك الصحافة) . إن الرجل
اشتبه في كلمة : ما وجهها أمر فوعة هي أم منصوبة ؟ وفي لفظة :
ماهي : أعربية أم مولدة ؟ وفي تعبير أعجمي : ما الذي يؤديه من
العربية الصحيحة ؟ وفي جملة : أهي في نسقها أفصح أم يدها ؟
إن المعجم هنا لا يفيد شيئاً إلا اذا نطق . . .

ولقد ابتليت هذه الأمة في عهدها الأخير بحب السهولة بما
أثر فيها الاحتلال وسياسته وتحمله الأعباء عنها واستهدافه دونها
للخطر ، فشبب العامة في لغة الصحف وفي أخبارها وفي طريقها
إنما هو صورة من سهولة تلك الحياة ، وكأنه تثبيت للضعف
والخور ، وأنت خير أن كل شيء يتحول بما تحدث له طبيعته
عالياً أو نازلاً ، فقد تحولت السهولة من شبه العامة إلى نصف
العامة في كتابة أكثر المجالات وفي رسائل طلبة المدارس ، حتى
تبدو المقالة في ألفاظها ومعانيها كأنها القنفذ أراد أن يحمل ما كلة
صغاره ، فقرض عنقوداً من العنب ، فألقاه في الأرض وأثر به
وتمرغ فيه ، ثم مشى يحمل كل حبة مرضوضة في عشرين إبرة
من شوكة .

ثم مد أبو عثمان يده فتناول مجلة مما أمامه وقعت يده عليها

في الأدب المقارن

موضوعات الأدب

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ غفرى أبو السعود

يعبر الأدب عن شتى خواج النفس وخواطر الذهن . ويصف تأثير النفس بمختلف صور الحياة وظواهر الكون وصروف الدهر ، وكلها أمور لا يحد مداها ولا تحصى مذاهبها ، ومن ثم لاتحد ولا تحصى أشتات الموضوعات التي يعالجها أدب أمة من الأمم في مختلف عصوره ، فأدب الأمة الحى يشمل أطراف حياتها المترامية ، بما يوحى به التدين والورع إلى ما يمليه التبذل والاستهتار ، وما يمليه الحزن والألم إلى ما توحى به الغبطة والسرور ، وما يدعو إليه التفكير والتأمل الرزين أو يحمل عليه التفكك والتندر ، ومن كل ما يبعث إعجاب الإنسان وروبه وخشوعه أو يثير احتقاره أو نفوره ، ومن كل ما يوقظ حب الاستطلاع والدرس والمعرفة المركب في طبع الإنسان ، ويمتد مجال الأدب حتى يختلط بشتى فروع العلم في بعض أطرافها

على أن موضوعات الأدب وإن تعذر استقصاؤها يتجمع أكبرها وأخطرها شأنًا حول مواضيع رئيسية يكثر طرقها وبعزى إلى واحد منها كل أثر من آثار رجال الأدب ، كالنسيب والرياء مثلا ؛ كما أن أدبا قد يختلف عن أدب في فن يحتق به ولا يكاد يوجد في غيره ، أو فنون يدمن طرقها دون غيرها ، بل يختلف الأدب الواحد في عصر من عصوره عنه في عصر آخر من حيث فنون القول التي يحتق بها ويقدمها على غيرها . فالبينة والعصر يتركان أثرهما في فنون الأدب التي تحظى بالرواج والاقبال ؛ ففي عصور الجهاد والصراع مثلا تسود أشعار الحماسة وتمجيد الحى والأبطال ؛ وفي عصور النزاع بين المادية والترف وبين الدين والتقاليد ، تكثر آثار المجون والزيف من جهة ، وآثار الوعظ والزهد من جهة أخرى ؛ وعصور البداهة تقدم آثارها بالسذاجة والعاطفة المتدفقة ، وعصور الثقافة تمتلئ آدابها بآثار التأمل والأزمات النفسية ؛ وكلما ارتقى المجتمع وصدق أدبه في التعبير عن حياته كثرت فنونه التي بطرقها ، وطال طرقه للفنون الرئيسية التي تمت إلى النفس الحية والفكر المذهب بأوثق الأسباب ، واختلف أدباؤه كل منهم يخص فنا أو فنونا منها باحتفائه . أما في عصور التدهور

والركود فتضيق دائرة تلك الفنون ويتعلق كثير منها بالسطحي والتقليدى من الأقوال ، ويتفق أكثر الأدباء في طريقة تناول تلك الفنون المحصورة والأدبان العربي والانجليزي قد تناولا أشتاتا من فنون القول ، وعبر اعمالا يحصى من أفكار الإنسان ومشاعره ، وانفقا في كثير من ذلك لاتفاق الطبيعة الإنسانية في كل مكان ، واختلفا في مدى الاحتفال ببعض الفنون والأعراض عن بعضها لاختلاف بيئات الإنسان من إقليم إلى آخر ، وظهرت في كل منهما على تعاقب العصور مواضيع لم تكن معروفة من قبل ، وحظيت مواضيع دون أخرى بالحفاوة والصدارة ؛ فالشعر الحامسى كان في العصر الجاهلى هو الفن الرئيسى ، لما كانت تتطلبه الحياة القبلية من التعبير عن صفات القوة والغلب ، ثم حلت الخطابة السياسية في صدر الاسلام محل الشعر ، ثم احتل الصدرة في العصر الأموى النسيب والمهاجاة ، وهلم جرا . وفي الأدب الانجليزي بلغت الخطابة الدينية الوعظية شأوها في عهد المظهرين ، وملكت الطبيعة جل اهتمام الشعراء في العصر الرومانسى ، وقاز التحليل القصصى النفسى والاجتماعى بالصدرة في العصر الحديث ولعل النسيب أحظى فنون الأدب باحتفال الأدباء في شتى الأمم ، لما يصدر عنه من عواطف وغزائر متأصلة في النفس الإنسانية على اختلاف البيئات . وقد بلغ من احتفاء العرب به أنهم لم يقتصروا على الحديث عنه في مكانه ، بل استهلوا به منذ عهد الجاهلية قصيدهم . ولم تخل من حديث الحب أكثر روايات شكسبير في القديم وقصص هاردي في العصر الحديث . فوسع الأدبان شتى الأوصاف للحالات الحب الراضية وأطواره الغاضبة . وإلى الحب يرجع الفضل في كثير من الآثار الأدبية وفي تكوين نفوس كثير من الأدباء ، وحول حديثه يدور جانب عظيم من كل أدب ؛ وقد غلا قوم فدوه مصدر كل أدب وفن

والرياء فن معدود من فنون الأدب في العربية والانجليزية ، يمتاز كثير من آثاره بالصدق وحرارة العاطفة وعمق التأمل . وذلك لأن حلول الموت ينقض الشمل وينقص المسرة ويذهب بالألف ، فيبعث في نفس الأديب ثورة ، ويدفعها إلى مراجعة التأمل في الحياة ، ويستخرج خير ما في النفس من صفات الوفاء والمودة وعذب الذكريات وخلجات الحنين . ومن غرر المراثى في العربية رثاء مهلهل لأخيه ، ودالية المعرى ورثاء البحترى للتوكل ورثاء ابن الرومى لأوسط صيته ورثاء الهامى لولده . ومن روائع المراثى في الانجليزية مراثية ملتون المسماة ليسيداس ومراثية شلى المسماة ادوينيس ومراثية تيسون المسماة الذكرى . وقد نظم كل منهم قصيدته في رثاء صديق له رفيق لصباه مات معتبطا . ومن بدائع المراثى الانجليزية أيضا خطبة مارك النطونى

على جسد قيصر في رواية شكسبير الدائمة الصيت ، ومرئية جرای التي نظمها في مقبرة قرية

والدين والوعظ فن يشترك فيه الأدبان ، يتمثل في العربية في خطب الرسول الكريم وكثير من خلفائه ، وكثير من أشعار أبي العتاهية وأبي نواس وابن عبد القدوس وابن الفارض وأصحاب المدايح النبوية ؛ وفي الإنجليزية في كثير من شعر هلتون ودن ونثر هو كرونيان ونيومان ، وأكثر ما كتب من ذلك في الإنجليزية إنما كان بأقلام رجال الدين المنتمين إلى الكنيسة . أما العربية حيث لم تكن للدين هيئة رسمية ذات نفوذ كالكنيسة فخام أدب الدين متفرقا يستوى في معالجته رجال الدين المنفتمون فيه ورجال الدنيا غير المتوفرين عليه . ومن أنبع رجال الدين في الأدب العربي الإمام الشافعي الذي يمتاز شعره برصانة ونقاء رائعين ، ومن آثاره قوله :

ثلاث من مهلكة الانام وداعية الصحيح إلى السقام :
دوام مدامة ودوام وطم وإدخال الطعام على الطعام
وقوله :

ومن لم يذق ذل التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته
حياة الفتى والله بالعلم والتقى إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته
والميل إلى الصداقة طبع في الإنسان لا يكاد يقل عن الحب تمكنا
وقوة ، فما يزال الإنسان في حنين إلى الأليف الروحي الذي يبادل له
النهم والشعور ، ويقاسمه الحزن والسرور ؛ ومن ثم تشغل الرسائل
والقصائد الإخترائية في اللادين العربي والإنجليزي مكانا معدودا ،
بين تخاطب في شتى الأمور وبين تعارف وتقاطع ، وبين تعاتب
وتقريع . ومن آثار الصداقة في الإنجليزية كثير من مقطوعات
شكسبير ، وما كان بين بوب وكوبر وليدى متاجيو وبعض معاصريهم
من تراسل ، وما كان بين جونسون وجولدسميث وبوزويل وجماعتهم
من أحاديث دونها الأخير في كتابه عن الأول ، وما كان بين جرای
وشلي ويرون وكثيرين غيرهم وبين أصدقائهم في الوطن من مراسلات ،
حين كان أولئك الشعراء يطوفون في ربوع أوروبا . وللجاحظ والبديع
والصافي وابن العميد رسائل إلى أصدقائهم بارعة تعد في صميم الأدب
العربي . ولم تكن رسالة الغفران إلا رسالة بين صديقين . ومن
قصائد التعاتب المشهورة لامية معن بن أرس التي مطلعها :

لعمرك ما أدري وإني لا وجل على أينما تعدو المنية أول
ومزية ابن الرومي الطويلة التي مطلعها :

يا أخى أين عهد ذاك الإخاء ؟ أين ما كان بيننا من صفاء ؟
وقد الأدب موضوع مهم من مواضع الأدب ، تلذ قرامته كما

تلذ قراءة آثار الأدب الأخرى ، لما يحورى من عام النظرات وخاصها
في مخلفات الأدياء وعصور الأدب . وما يزيد أكثر كتب الأدب
في العربية ككتاب الصنائع وكتاب الوساطة إمتاعاً حفو لها بالكثير
من بدائع المختارات والمقتبسات . وفي الإنجليزية يحتق بعض النقاد
أمثال ما كولى ومانيو أرنولد وإديسون بأسلوبهم الأدبي في تقديم
لآثار غيرهم ، حتى ترى آثارهم النقدية مضاهية لما ينقدونه لذة وإمتاعاً .
ويتمزج بنقد الأدب في الإنجليزية نقد الفنون الجيلة عامة ، والإشارة
إلى القواعد التي تشملها هي والأدب ؛ ففي مقاله عن بيرون مثلاً -
يوضح ما كولى آراءه بأمثلة من الفنون الأخرى من موضع إلى آخر .
وأحوال المجتمع وأحداث السياسة ليست بما يمر بالأديب المثقف
دون أن يكرهه ، بل لابد أن يترك ذلك أثره الواضح في أدبه . وقد
كان شعر الجاهليين سجلاً موجزاً لكبريات أحداثهم ، فلما خضع
العرب للملكية بعد الاسلام كفكت تلك اللوعة كثيراً ؛ وقل نقد
الأنظمة الاجتماعية والسياسة في الأدب والتعليق على الحوادث إلى
حد كبير ، إلا أن يكون في ذلك مجازاة ومظاهرة لأصحاب السلطان .
وقد قتل المنصور ابن المظفر الذي رفع إليه رسالة في شؤون الحكم
وإن عزي مقتله إلى سبب آخر وأحيط بالغموض . إنما أثر السياسة
والحوادث في الأدب بعد الاسلام باد في الرسائل الديوانية التي كان
يتأق الوزراء الكاتبون أمثال سهل بن هرون والقاضي الفاضل
وابن زيدون في كتابتها إلى عمال الأمير وأنصاره وأعدائه والخارجين
عليه ، كما أن في كتابات الجاحظ ومقامات البديع تصوراً واضحاً
لكثير من أحوال مجتمعهم وأبنائه . ومن أشعار الأحداث السياسية
قصيدة يزيد المهلب في رثاء المترك وقصيدة ابن الرومي في ثورة
الزنج التي منها يقول :

بينما أهلها بأحسن حال إذ رماهم عيدهم باصطلام
صبحهم فكابد الناس منهم طول يوم كأنه ألف عام

وهذا الفن أوسع محيطاً وأحفل بالآثار في الإنجليزية ، حيث
مهدت الحكومة الديمقراطية السيل للنظرات الحرة والنقدات الصادقة .

وكان استقلال الأمة الإنجليزية عن غيرها واعتزالها سواها إلى حد
بعيد داعياً إلى اشتداد الشعور القومي والاحساس بوحدة المجتمع
والاهتمام لشؤونه كأنها شؤون كل فرد الخاصة . وقد قال الامام علي :
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . وما أسماها مبدأ إنسانياً ومذهباً
ديمقراطياً وحكمة عمرانية ؛ بيد أنه كان شعار المجتمع الإنجليزي أكثر
منه شعاراً للمجتمع العربي ، ومن ثم كانت لا كثر أدياء الإنجليزية
نظراتهم الإصلاحية الخاصة ، التي تتراوح بين الخطرات العارضة
وبين الرغبة في الانقلاب الكلي ، وظهرت القصة نتيجة هذا الاندماج

الأسلوب المحكم الرصين الذي كان شعاره في الأدب التعبير عما قيل من قبل كثيراً ، ولكن لم يقل أبداً بهذا الأحكام ، ، فسار كثير من أياته المحكمة الموجزة على الأقلام والأفواه

ومما يتصل بالحكمة في الأدب العربي ويمتاز هذا الأدب به التمدح بحميد الخصال كالجود والشجاعة وحنى الذمار وحسن الجوار وحفظ السر وكظم الغيظ ومدارة السفية ، إلى غير ذلك من الدساتير الخلقية التي كان كثير من أشرف العرب الأدباء يسنونها لأنفسهم ، وامتنادح تلك الصفات في الغير والحث عليها ، وهذا من أنبل مواضع الأدب العربي ، ولحاتم الطائي ومسكين الدارمي والمقنع الكندي والشريف الرضي والإمام الشافعي آثار في ذلك ، تروى برصانة أسلوبها ومثانة أسرها وعظمة خلقها ؛ فلما غلب التقليد على الأدب ، ودخل الشعر في طور التقهقر انقلب مثل هذا التمدح المحبوب الصادق المقرون بالفعال نغماً عاجزاً أجوف ، بآثر وهمية وعزائم مزعومة ، ونها على النجوم ودلا على الزمان ، كقول السرى الرقا :

ولأنك عبدى يا زمان وإنتى على الرغم منى أن أرى لك سيداً
والغريب أن أحد أولئك الشعراء المتشدقين بالفخر ربما خربت في
القصيدة الواحدة بشكوى سوء الحال وقعود الجدود وخيبة الآمال .
والشكوى موضوع من مواضع الأدب العربي كانت أقرب إلى
متناول أدبائه منها إلى أدباء الإنجليزية ؛ وقد فشت خاصة في آثار
المتأخرين . والأدب العربي من جهة أخرى أحفل بوصف آثار
الترف ومظاهره : من القصور والمحافل ومجالس الشراب وآلات
الطرب ودواعي المجون . وللخمر خاصة منزلة في الأدب العربي
لا نظير لها في الإنجليزية ، وقد حظيت من جزالة أسلوب الاضطلال
وأنى نواس وابن الرومي بما خلد أوصافها وأعلى ذكرها ، وقبلها يرد
ذكر الخمر في الأدب الإنجليزي إلا أظرفاً وتشبهاً بالاغريق المتقدمين
وإشارة إلى باخوس إله الخمر عندهم

وراج في الأدب العربي فنان ليس من صميم الأدب في شيء ، وما زالوا
يرقبان حتى احتلا مكان الصدارة من الأدب ، وموضع الحفاوة من
الأدباء ، وهما المدح والهجاء اللذان استفحل أمرهما من عهد الأمويين
فنازلاً ، حتى استبدت بأجزاء كبيرة من دواوين بشار وأبي نواس
وأبي تمام والمتنبي ، وكادتا يشغلان كل دواوين آخرين غير هؤلاء .
وما كان ارتفاع شأنهما هكذا إلا نتيجة فساد تقاليد قديمة ، كانت
في الجاهلية تقاليد محمودة لا ضير فيها ، ثم استمرت بعد ذهاب
عصرها واندثار يثنها بظهور الإسلام وقيام الدولة المنتهضة المركزية
ففسدت تلك التقاليد وصارت يلاذ على الأدب الصحيح

الاجتماعي تصور المجتمع تصويراً دقيقاً لا يغادر منحنى ولا مذهباً .
ولكن الحياة ليست كلها جداً مرأ ، ولا النفس الانسانية تحتل
الجد المتواصل ، وإنما يميل الانسان بطبعه إلى الترفيه عن نفسه
بالنفسك والنظر إلى الجانب المزلى من الحياة . والأدباء لدقة
إحساسهم ونفاذ نظرهم سريعون إلى ملاحظة مواطن التناقض
ومواضع الفكاهة في أخلاق الناس وأعمالهم ؛ ومن ثم يحفل الأدباء
العربي والإنجليزي بصور عديدة من صور الفكاهة ، تتراوح درجاتها
بين العبث البريء في أبدي شكسبير وجولد سميث واديسون والملاحظ ،
وبين السخر المرير في أبدي سوفيت وبوب وابن الرومي والمعرى ،
ويتناول بها الأدباء مناسبتهم ومعاصريهم ويفندون حماقات المجتمع
وهناك مواضع احتقن بها الأدب العربي حفاوة بالغة تفوق
ما ناله في الإنجليزية ، وأولها الحكمة : فأدباء العربية كانوا منذ
الجاهلية يعشقون الحكمة ويحبون نظمها والاستماع إلى أشعارها ، بل
كانوا كما قيل لا يعترفون لشاعر بالفحولة حتى يوفق إلى شيء منها .
وظل الأعشى مزوياً عن مصاف الفحول حتى قال في مدحه سلامة
ذا فائس : والشئ حينما جعلاً ، ، بجمع صدق النظرة إلى إيجاز
اللفظ وهما سمتا الحكمة عند العرب . ولما اطلع العرب على ثقافات
الأمم كان أهم ما احتفوا بنقله من آدابهم الحكمة . ومن كتب الحكمة
مؤلفات ابن المقفع ومقصورة ابن دريد والخطيب المنسوب إلى قس
ابن ساعدة والامام علي ، والجم الغفير من أشعار المتنبي التي سارت
مسير الشمس ؛ وليس من محض الصدفة أن كان أكبر شعراء العربية
وأسيدهم ذكراً حكماً مكثرأ لصوغ الحكم وضرب الأمثال .
وبالحكمة الصادقة البليغة الموجزة كان الأديب العربي يستغنى عن فنون
وأشكال من الأدب ازدهرت في الإنجليزية ، كالقصة والرواية التمثيلية
والملمحة ، فالعبارة التي تتطوى عليها إحدى هذه يجمعها الشاعر العربي
في بيت واحد يلقيه إليك وخلاه ذم

واقباس الحكمة والمثل والاستشهاد بأقوال السلف أقل حدوثاً
في الإنجليزية منه في العربية ، لأن الحكم للموجة التي تغور في الأخيرة
قليلة في الأولى . وكثيراً ما يلجأ المقتبس في الإنجليزية إلى الأديين
الاغريق واللاتين ، وحتى هذا يبطل تدريجاً في العصور الحديثة .
وأكثر أدباء الإنجليزية حظوة لدى المقتبسين والمستشهدين شكسبير ،
وليس ذلك لأنه كان يتمدد صوغ الحكمة أو يحرص على التكرار
منها ، بل لأن رواياته من جهة قد أحاطت بشتى أحوال الحياة والنفس
الانسانية ، بحيث يجد فيها كل كاتب شيئاً مقارباً لما هو بصده ،
ولأن مقدرته اللغوية العظيمة من جهة أخرى كانت تهدبه إلى صوغ
أفكاره صياغة موجزة بمتعة ؛ ويليه سيرة أحوال بوب ، زعيم

الأخرى والترفيع عن العامة وثقافتهم المتواضعة ، واحتقار الخرافة وأساطير الماضين .

واتخذ الأدب الانجليزي التاريخ الواقعي مادة لموضوعاته : منه اتخذ الإنجليزيون مواضيع بعض رواياتهم ، وفيه جال جييون وسوذي وما كولي وكارليل ، يدرسون كبريات الوقائع وعظما الرجال وإليه رجع الشعراء والقصاصيون ، وقد صور سكوت في قصصه حوادث التاريخ تصويراً يفوق كتب التاريخ أحياناً دقة ووضوحاً ، ولم يكذب يلتفت إلى التاريخ من أدباء العربية ويتناولوه في أسلوب أدبي - جزل سوى الجاحظ .

فالآدابان العربي والانجليزي قد تناولا مواضيع مشتركة بينهما ، وطرق كل منهما مواضيع لم يحتف بها الآخر . على أن الأدب الانجليزي أغزر موضوعات وأكثر شغلا بأسباب الحياة ؛ والأدب العربي لم يظل دائماً ترجيحاً لكل عواطف المجتمع العربي ، وكانت روح المحافظة التي سببت عدم تطور أشكاله سبباً في قلة تطور مواضيعه أيضاً ، فأهمل مواضيع شتى تمت إلى الطبع الانساني بأوثق الأسباب وتدخل في حظيرة الأدب أول داخل ، وتناول غيرها لا تمت إلى الفن بسبب ، ومرجع ذلك ما خالطه من نزعة تقليد جامدة ، وما اعتمد عليه من رعاية الأمراء ، على حين كان الأدب الانجليزي دائماً حر النزعة حر الحركة والنمو

فهمى أبو البصير

رحمة

في بلاد العربية السعيدة

تأليف : نزيه مؤيد العظم بك

وصف مسهب لبلاد اليمن وسبأ ومأرب ونصوص المعاهدات التي عقدتها الدول مع اليمن يقع في ٤٠ صفحة من القطع الكبير مزدان بالصور وهو الكتاب العربي الوحيد في بابه ويطلب من : -

مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه

بحوار سيدنا الحسين بنصر

ثمان النسخة ٣٠ قرشاً عدا أجرة البريد

كان العرب الجاهليون يحرسون على حسن الأحداث ، ويمدحون بكرم الصفات ، ويناقشون خصوصهم بالشعر ، ويجزون من فعل ذلك عنهم ، وكان ذلك كله وليد بيتهم البدوية ، فلما كان الاسلام والدولة والحضارة لم يعد لمثل ذلك التفاخر والتهاجي موضع ، ولكن الشعراء استبقوا ذلك التقليد طلباً للنوال ، والأمراء قبلوا منهم ذلك الأحياء المتفعل لتقليد غير عصره طلباً للجد الزائف . ومن العسير أن تحصى المساوي التي جررها هذان الفنان من القول على الأدب العربي : مواضيعه ومعانيه وأساليبه

ولم يكن في الانجليزية شيء من هذين الفنين يقاس بما كان في العربية ، وحتى القليل من المدح الذي كان في بعض الفقرات يستفز الأدباء الأباة إلى مثل قول بوب : « فلا عبر عن رأيي في الأمر في كلمة : إن وصف الرجل بأكثر مما نعلم فيه عمل بعيد عن الأمانة إذا قصد من ورائه الروح ، وعمل أخرق إذا لم يقصد ، وكل من نجح في مثل هذا العمل لابد أن يعتقد في قرارة نفسه أنه هو نفسه دجال لأنه فعل ذلك ، وأن عمدوحه أحق لأنه صدق ما قيل فيه .

وعلى حين احتفى شعراء العربية بهذين الفنين الزائفين من فنون القول ، أهملوا إلى حد بعيد فناً هو من صميم الأدب والحياة ، وهو الوصف الطبيعي : فديوان المتنبي الذي يعج بمعاني المدح والهجاء المخترعة لا يضم إلا أبياتاً معدودة منشورة في التفتي بباهج الطبيعة . أما في الانجليزية فالطبيعة وحى مالا يعد من قصائد بين مقطوعات ومطولات ، ووصفها يتخلل أشات المنظوم والنثر في مختلف الأغراض ، وهي المنظر الخلق لكثير من روايات العصر الانجليزي وملاحم ملتون وسبنسر ومطولات تينسون وقصص هاردي ، بل بلغ من دقة دراسة تينسون إياها أن أصبح شعره يقتبس في كتب الجيولوجيا والجغرافيا أحياناً ، وبلغ من معرفة هاردي بطبيعة الاقليم الذي أجرى فيه حوادث قصصه ، أن كان يخصص الصحائف الطوال لوصف المنظر الواحد في قصصه بدقة العالم لا القصص

وهناك مواضيع أدمت أدباء الانجليزية ورود مناهلها وغزرت آثارها في أدبهم ، فكانت فيه مادة فن وإمتاع وغبطة : كالتحدث عن المغامرات وروائع القصص وعجائب الرحلات ، وجسام حوادث الماضي وعظائم أبطال الأمم ، وتمتع خرافات الأجيال وأغنيات طبقات الشعب وأقاصيصهم ، كل هاتيك وجد فيها أدباء الانجليزية منادح للفن والخيال ومعارض لميول النفس الانسانية وطباعها وسجاياها المرسله ؛ أما الأدب العربي فيمتاز بكفكفة غلواء الخيال والتجاني عن البعيد من الأمكنة والأزمنة والازورار عن الأمم

بين تلتوى وما كس نوردو

للاستاذ عبد الرحمن شكرى

قرأت تلتوى قبل أن أقرأ نقد ما كس نوردو لأرائه . وكنت أشك فيما شك الناقد الألماني ، ولكنى عندما قرأت نقده لتلتوى لم يقنعنى تعليله ، أو على الأقل رأيت أنه لم يتبع كل احتمال يمكن أن يصير إليه النفس الحائرة فى بحث معضلات الحياة ، ولم يقف كل موقف من الجائز أن تقفه فى أثناء بحثها ؛ فكان تعليله لما ينقد من الآراء بالشذوذ الجثمانى فى صاحب رأى ، ولم يدرك أن كل إنسان شاذ وأن كل مفكر مصحوب بشىء من الشذوذ الجثمانى ، وأن الشذوذ الجثمانى قد يكون فى غير المفكر أكثر منه فى المفكر ، وأن الإنسان حيوان شاذ ، وأن رأى الذى ينقده قد يكون قد دخل عليه الخطأ بسبب رفض صاحبه لخطأ آخر فى أثناء بحثه الحياة واختيار مسالك الرأى فيها . ولو أن ما كس نوردو قد فسر سبب رفض تلتوى لنقيض ما رأى من الآراء لكان قد وصف رحلة نفس تلتوى فى عالم الاحساس والوجدان ، ولكان قد وصف رحلة فكره فى عالم الأفكار ، ولكان قد وصف من تلك المسالك ما هو كاليه ذى الطرق المتشعبة وما يحسبه ما كس نوردو طريقاً معبداً بالخرسان والقطران والأسفلت

خذ مثلاً رأى تلتوى فى الامتناع عن الاجرام حتى قتل المجرم للدفاع عن النفس أو عن طفل برىء ، فهو يقول لك انصح المجرم وعظه والتجىء إلى جانب الخير من نفسه وحاول أن تمنحه من ارتكاب جريمة القتل ، ولكن احذر أن يكون منعك إياه عن الجريمة بأن تأتى أنت جريمة كأن تقتله ؛ فإذا رأيت مجرماً يريد أن يقتل طفلاً فضع نفسك بينه وبين الطفل وعظه ، ولكن لا تقتله لأنه يريد أن يقتلك أو أن يقتل إنساناً آخر حتى ولو كنت قادراً على قتله

ياخذ ما كس نوردو هذا الرأى فيفنده ويسخره ويهزأ منه . وله أن يفنده وأن يظهر مواطن الضعف فيه ، وله أن يسخر منه ما شاء أن يسخر ، وله أن يقول إن هذا رأى يؤدى إلى موت

الابرار وتحكم الأشرار . إذا أخذ به بعض الناس ولن يأخذ به كل الناس إلا إذا انمى الشر من النفس الإنسانية فلا يكون إذن للرأى معنى ولا ضرورة ، وإذا مات الأبرار الأخيار بسبب أخذهم بهذا الرأى وتحكم الأشرار رجعت الحالة إلى ما كانت عليه قبل الشروع فى تحقيق هذا الرأى وانعدم هذا الرأى من عالم الأفكار والأحياء . فإذا قال ما كس نوردو كل هذا كان صيماً فى قوله . وإن كنا لا نقطع بحدود فجاءات النفس البشرية وحدود عدوى المحاكاة كمحاكاة الانقطاع المطلق عن الشر . ولعل تلتوى قد قدر كل ما قدره ما كس نوردو من شر يعود به الانقطاع عن الشر حتى فى الدفاع عن الخير أو عن النفس أو عن الأحياء ، ولكن لعله كان يؤمن بالنفس البشرية أكثر من إيمان ما كس نوردو بها فقد رأى أيضاً ذبوع الأخذ برأيه وانتشار عدوى محاكاة الانقطاع عن الشر حتى تعم الناس قاطبة بعد ويل يكون للبادئين بالأخذ به ، والبادئون دائماً ضحية فى كل رأى ومذهب . ولعله قد رأى أيضاً أنه لو أخطأ فى إيمانه بالنفس الإنسانية فإن الويل والضرر للذين يكونان نتيجة الأخذ برأيه مقبولان فى سبيل تجربة قد تعود على الإنسان بالخير الآجل إن لم يكن عاجلاً ؛ ولعله قد رأى أيضاً أن المرء قد لا يأخذ برأى الانقطاع عن الشر المطلق دائماً ، ولكن هذا الرأى قد يبعده عن الشر أحياناً أو قد يقلل من غلواء شربه كما قللت روادع المسيحية من قسوة من اعتنقها من التوتون الذين غزوا الدولة الرومانية وإن لم تنقض على قسوتهم كل القضاء . ولم يكن تلتوى أول من فكر هذا الفكر ، فانه فكر تلجىء إليه النفس الإنسانية المعذبة كلما حاولت التمدى إلى وسيلة تخلصها من شرور الحياة كما فعل البوذيون قديماً عندما همهم قبائل المغول والتتر والتركمان فى الهند ، وكافعل المسيحيون القدماء عندما كانوا مضطهدين فى الدولة الرومانية الوثنية قبل اعتناقها للمسيحية

ثم لعل تلتوى قد قدر أيضاً أن دفع الشر بالشر يؤدى إلى خلود حب الانتقام والأخذ بالثأر ؛ وكثيراً ما فئت أسر وقبائل وشعوب بسبب خلود حب الانتقام والأخذ بالثأر جيلاً بعد جيل . ونحن نرى الآن كيف يهدد الخراب عالم العمران بسبب دفع الشر بالشر والمباراة فيه .

فترى أن خطأ تلتوى ليس بالخطأ الذى يتهم صاحبه من أجله بالانحطاط والجنون كما فعل ما كس نوردو الناقد الألماني ،

ولم يكن هناك من داع في هذه الحالة لنظرية الانحطاط التي نبى عليها ما كس نوردو كتابه (الانحطاط) ولو أنه اكتفى بابرار الحيرة الفكرية التي أدت بهروب تلتوى من نظرية دفع الشر بالشر إلى نظرية ألا يدفع الشر بالشر وأوضح خطأ هذه الحيرة لكان أقرب للتقوى

وعرض ما كس نوردو مذهب تلتوى في العاطفة الجنسية : وله أن يفنده وأن يسخر منه ، ولكن كان من تمام الحكمة والفلسفة والتفكير أن يعرض شرور الحلول الأخرى التي تحل بها معضلة العاطفة الجنسية لكي يفسر الحيرة التي أدت إلى هروب تلتوى منها ، فإن حل معضلتها ليس طريقاً مهوداً بالأسفلت والقطران كما حسب ما كس نوردو ؛ وهو إن كان كذلك فهو أيضاً كثير الحفر والمهاوى ، وهي التي أدت إلى ذلك الرأي الغريب الذي ارتآه تلتوى وجعله يطلب رفضاً رفضاً باتاً حتى في حالة الزواج ؛ وهو في هذه الناحية أقل إيماناً بالنفس الإنسانية من ناقده ، ولكن كان يجدر بناقده أن يبرز الشرور والآثام التي تكثر ، سواء أكان حل معضلة العاطفة الجنسية بغلبة القيود والغيرة ، أو بضعف القيود والغيرة أو باندماهما كلها ؛ فلعل تلتوى قد نظر طويلاً إلى كل حالة من هذه الحالات ؛ ولعل طول نظره في كل حالة هو الذي حيره ودعاه إلى رفض العاطفة الجنسية رفضاً باتاً ، فالحيرة ليست دائماً دليلاً على كلال الذهن وقصر نظره وغموضه وانحطاطه ؛ وهي تدّرني برجل جليل فاضل مفكر كان يجيد لعب الشطرنج ويفكر في كل تفكير يصح أن يفكر فيه الذي يلعبه ، فكان لا يفكر في لعبة إلا فكر في طريقة ضدها تهزمها فينتهي به الحال إلى أن يلعب أول لعبة تخاطر على ذهن اللاعب وتستدعي سخر الناظرين وضحكهم

ونظر ما كس نوردو إلى موقف تلتوى من العلم ، وكان ينبغي لو حاول الاتزان في النقد أن يفسر سبب الحيرة التي دفعت بتلتوى إلى رفض أكثره ، وأن يميز بين حيرة الجاهل الغبي وبين حيرة الذكي التي هي أشبه بحيرة لاعب الشطرنج الذي وصفته ، وأن يفرق بين خطأ الغافل الذي لا يفكر وخطأ المفكر الذي يحيره كثرة الفكر وتثعب مسالكه والتواؤمها حتى يراها مثل حارات القاهرة القديمة التي ليس بها منفذ ولكنها حيرة لا تستدعي أن يتهم صاحبها بالانحطاط حتى ولو كان صاحبها غطناً ، وإلا كان الإنسان

حيواناً كثير الانحطاط ، وكان الانحطاط الذي يعنيه هو من النقص المحتوم في الطبيعة البشرية ، ولعل تلتوى قد قدر عواقب العلم الحديث في النظم الاقتصادية وفي النظم والمخترعات الحربية وهي عواقب أدت إلى كوارث الحرب العظمى وأهوالها ، وإلى الأزمة الاقتصادية ومعضلاتها ، وهي إلى الآن تهدد العالم بالحرب ؛ فلا غرابة إذا أدركته الحيرة ، ولا غرابة إذا أخطأ فلم يصب أحد بعد في حل تلك المعضلات . ولعل تلتوى قد فكر أيضاً فيما فكر فيه اللورد بالفور عند ما قال في وصف أثر العلم الحديث في تغير نظر الإنسان إلى الحياة : « إن العلم الحديث يعلم الإنسان أن الدنيا لم تخلق من أجله ، وأنه ليس تاج الخليقة ولا أنه من سلالة من سكن الجنان قديماً ، وأن حياته جاءت عفواً ، وأن تاريخه قصة عار وحادث لا تشرف من حوادث أحقر نجم سيار ، وأنه مملوء بالأسقام والآثام والجحاعات والقتل والقسوة ، وأن الإنسان بعد آلام لا تحصى قد صار له من الضمير ما يعرف به حقارة نفسه ، ومن العقل ما يدرك به أنه مخلوق تافه ، وأنه بعد عصور طويلة في ذاتها قصيرة بالنسبة إلى ما مضى من العصور الجيولوجية سينمحي بهاء الشمس وروثها ، ولا تسمع الأرض بقاء ذلك المخلوق الذي ألقى هدأتها ، فيفنى الإنسان وتبقى معه آراؤه وأفكاره كلها ، فكأنما كان عمله وذكاؤه وإيمانه وآلامه وجهاده في عصور حياته الطويلة عبثاً ومن غير جدوى »

ثم إن العلم الحديث يقول أيضاً إنه على فرض تحقق السلم والخير الشامل ، وعلى فرض انمحاء الشر ، فإن هذه حالة تؤدي إلى تدهور الإنسانية ، لأن الخير في مقاومة الشر ، والذكاك مستنبط من الخوف والحذر من الجوع ومن اعتداء القوى ، فإذا انمحق الخوف والحذر والشر والاعتداء ضعفت الإنسانية وتدهورت وتردت في هاوية الفناء

ولعل تلتوى قد نظر أيضاً إلى ما نظر إليه ادن فلبوتس القصصى الانجليزى في وصف أثر هذه الآراء كلها في المجرمين في أوروبا والولايات المتحدة وغيرها . فإذا كان تلتوى بعد ذلك النظر قد رفض أكثر هذه الآراء العلمية فليس رفضه دليلاً على الانحطاط كما قال ما كس نوردو بل هو من حيرة المفكر الذي يتهدى .

ولعل تلتوى في استعراضه تاريخ العاطفة الجنسية ومعضلاتها

في الصحراء

للأستاذ عبد المنعم خلاف

عشقته منذ أن عاش جسمي بين يديها أربعاً وعشرين ساعة
في الحريف الماضي كذرة من رمالها في وهج ظهريتها، وأفياها
آكامها، وطقل أصائلها، وأشباح دياجيا، ورهبوت عوالمها ...
ومنذ أن لمست يدا قوية من طبيعتها تمتد إلى قلبي فتضربه بشعلها
وتعصره برهبتها، وتحمله في أجوائها مع الهبوات، وتسقيه من
آلهها وسراياها أمواجاً تظمي. ولا تروى، وتلف ولا تسعف،
لأنها أحلام الأرض الظامئة والآكباد الحرثي ...

واستقبلت العودة إليها في ظرف موات استقبال المتطلع
إلى عالم مسحور ناطق بالصمت، مضي بالموت، مثير بالهدوء،
مُضْطَرٌّ بالشوك، مُرٌّ بالجفاف، مؤنس بالوحشة، يضج القلب
فيه ضجيج الدنيا وإن صمت هو صمت الآخرة، ويحوم الفكر
فيه حول العقدين: الأزل والأبد، فتختلط الحواس ويتداخل
فعلها فتسمع العين وترى الأذن وتلمس الأضواء والألوان !

سلام عليك أيتها الذرات المتشابهة الراقدة على مهاد الأزل
حاملة بالثقل على جناح الرياح إلى عوالم الأنهار والأزهار
ونفاقها واكاذيبها وآثامها ونظمها على اختلاف تلك النظم ولعله
أيضاً عند استعراض تلك الآراء والنظم العلمية الحديثة قد نظر
إلى قول القائلين إن العاطفة الجنسية والعلم الحديث هما كالماء
الذي تضعه في الاناء القدر فيصير قندراً، وتضعه في الاناء النظيف
فيكون نظيفاً، والآية تختلف باختلاف النفوس وأصل الماء
واحد سواء الذي وضع في الاناء القدر والذي وضع في الاناء
النظيف .

ولكن لعل تلتوى أيضاً قد فطن إلى أن هذا تشبيه لأقل
ولا أكثر، وأنه عند امتحان النفوس وتطبيقه عليها يتلاشى
ويتضائل إذا أعوز الاناء النظيف من آية النفوس البشرية

عبد الرحمن سكري

والحيوان .. سأمانة من طول الرقاد على بساط الديموم، تمثلين
العم والبساطة والصورة الأولى للأجسام ... تنظرين إلى الذرات
العليا المضينة الدائرة في فضاء ربي والراقدة أيضاً على صدر
الفراغ .. تحلم بالقرار كما تحلين أنت بالانطلاق والفرار ..
في قلبي ذرة صغيرة مُعَرِّبَةٌ لذاعة وددت لو استحالت إلى
جمودك ! إذن لأراحت واستراحت من رُوح الحياة .. إنها ذرة
تحلم بالرياح كما تحلين . فهي ثائرة تريد الانطلاق من ضيق
المكان .. وهي دائبة على ذلك حتى يقف الزيت من السراج ،
وتخمد الوقْدة التي وضعت شرارتها يد الله في ذراقي الأولى !

نحن ركب مُسَيَّرُونَ لا سائرُونَ أيتها الذرات .. مسيرون
بعواصف خفية فهي أهول، مكبوتة فهي أعنف، متناثرة فهي
أسرع في تحطيمنا ونقض بنائنا . فلا إرادة ولا خيرة في النقلة،
وإنما هي رياح من نوع آخر، وما أكثر جنود ربي !

سألت : كم مضى من دهرك أيتها الديموم ... ؟ فأجابت :
طفلة أنا لا أعي دورات الفلك، ولا أشيخ على الدوام ... وإنما
تقاس الأزمان وتعرف الأعمار بحفاف في ورقة ، أو تجيدة
على وجه . وأنا كما تراني علامة ابتداء ...

وسألت : لمن خُلق ليك والنهار، وشمسك والقمر؟ ومن
يسمع تناوُح رياحك وعزيفها على شعاف جبالك، وصفيرها
في كهوفك ؟ ومن يَسْمُرُ مع نجومك ، ويشهد تقاتل عناصر
الطبيعة على صدرك ؟ لمن وشائعُ الغيوم على صفحات سمائك ،
وألوانُ جُددك وظرابك وآكامك ؟ وأين كل ما صبَّته الشمس
والكواكب على أديمك من أضواء وألوان ؟ اللعابرين فيك
كالنسيمات والطائرين عليك كالخطرات ؟ أكل هذه الأكوام
للشياه والبُمران والرُعيان ؟ ويح الجبال من غير عيون تجتليه،
والجلال من غير قلوب تستوحيه، والسطور من غير قارىء !

فأجابت : سِرِّي وسحري أن أكون أبديةً عقيماً متفردة .
لأنني أرض الخفاء والمجهول والجن ... الجن الذين ملأوا آفاق
بتهاويلهم كما ملأتم دياركم بالشواخص والأجرام ... وقد خلقت
لهم، وإن منهم قلوب الشعراء والمتاملين، السائرة مع الأضواء

٢ - عمر بن الخطاب *

للأستاذ علي الطنطاوي

- ٦ -

كان المسلمون في مكة - فكانت الخصومة بينهم وبين الكفار من قريش - خصومة فردية . شخص بناوى شخصاً ، وجماعة تقاتل جماعة . فلما كانت الهجرة واستقر الاسلام في (يثرب) وفُتحت له صدرها ، وقدمت لنصرته أبناءها وفلذات كبدها ، استحالَت الخصومة إلى شبه (خلاف دولي) بين القرشيين المقيمين على الشرك ، العاكفين على الاصنام ، المدافعين عن الباطل ، وبين أهل (المدينة المنورة) بنور التوحيد - (أنصار) الاسلام وحماة الدين ، وجنود الله ؛ واتسع الخلاف وخاب مع الكفار المنطق وتعذر الصلح ولم يبق بد من الحرب

ومهما يقل اليوم (دعاة السلام) في شناعة الحرب ويصفوا من أهوالها وينفروا منها ، ومهما يؤلفوا في ذلك من كتب ويصنفوا من أصناف ، فإن مما لا ريب فيه أن هناك (حرباً مقدسة) مشروعة فاضلة ، هي الحرب التي تشب نارها دفاعاً عن الحق وذباً عن الفضيلة وتأديباً للجرمين . . . ومن ينكر على الجند أن يحاربوا اللصوص والمجرمين ، ومنعهم أن يعيشوا في الأرض فساداً ؟ ومن يمنع القاضي أن يقتل القاتل ليشتري بموته حياة أمة ، ويحبس الجاني ليضمن بحبسه حرية شعب ؟

كذلك كانت (معركة بدر) حرباً مقدسة ، أثرت من أجل الحق والفضيلة والسلام والاسلام . . . فشنت إلى بدر (عصابة المجرمين) من قريش ، مزهوة زهو اللصوص ، شاحخة بأنافها - شموخ القتلة ، مستكبرة استكبار قطاع الطرق . . . ومشت فرق الجنود المسلمين متواضعة لله خاضعة له . لا قوة لها إلا قوة الحق ، ولا سلاح إلا سلاح الايمان ، ولا غرض لها إلا تطهير الأرض من أدران الشرك واوضار الظلم ومحو الارستقراطية السخيفة العاتية . .

والظلمات ترقبها في الشفق والغسق ، الخافقة مع الهبوات والنسمات ترصد فيعلمها في المدّر والوبرّ والدوح والورق ، النائمة في حضن جبل أو على ذراعى موجة أو في عين نجم ، أو في عُش . أو على زهرة متضورة نقطها الندى ، أو في ناي راع ، أو في قبر مهديم متفرد !

يا أم الفطرة ! أريد أن أقبض قبضة من ذراتك البسيطة التركيب ، البريئة من الدنس ، المطهرة من الرجس ، فأحصب بها وجوه المصانع وناطحات السحاب لعل أحجارها تذكر المهدي الأول فتزعي ذممه ، وتوشج رحمه ، وتزيح عنها دخان البارود لترى السماء وتسمع خبرها . . .

يا أم الفطرة ودينها ، انبهاك ترك عقل و محمد ، في حيرة غداة شب عن الطوق يرعى ، وبجالي الفتنة والروعة فيك نادته إلى العزلة في شعفة من شعفات جبالك يسأل الدنيا عن سرها وأزلها وأبداها وملئها ونحلها حتى حدثته السماء خبرها ، ولم ينزل خبر السماء إلا فيك أو على حوافيك ، لأنك القدس والمظهر ، تسجد الطبيعة فيك بالاصباح والإسماء ، والنجوم والجبال والشجر والدواب . . . وإن أهل الأرض مدينون لك بالظل الذي يحدون برّده على قلوبهم وامتداده على أرواحهم ؛ ولقد نشرت وكتابتك ، على الدنيا مرة فطبت كلماته على الآفاق كلها ؛ ولكن رُكّما من الغيوم يكاد يخفيها ، فأرسل رياحك الحارة تذيب الركام وتجلو كلمات النبوة . . تريد الأرض موجة جديدة منك أيتها الصحراء ، فاهتزي !

ضَحِكْتَ بِالْقَتَادِ وَالْأَشْوَكَ ضَحِكَةً خَلَّتْهَا بِشَاشَةٌ بِأَكْ أَرْسَلَتْهَا فِي الصَّمْتِ هَمْسًا وَلَكِنْ رَنَّ فِي مِصْمَعِي صِدَاهَا الْخَاكِ قَرْنَحَةً بِالرَّبِيعِ دَبَّ عَلَى الْأَرَضِ ضَ وَلِيدًا يَشِيرُهَا لِحِرَاكِ فَرَشْتَ فِي طَرِيقِهِ الشُّوكَ وَالْحَمَّ ضَ وَوَشَّتْ رِمَالَهَا بِالْأَرَاكِ عَجَزْتَ أَنْ تَجَارِيَ الْخَنْصَبَ بِالْحَبِّ (م) وَفَرَشَ الرُّمَى وَنَفَعَ الزَّوَاكِ فَأَنَالَتْ جُهْدَ الْمَقْلِ ، وَمَا يُطْلَبُ مِنْ عَاجِزٍ بُلُوغُ السَّمَاءِ

عمر النعمم معروف

القاهرة

- ٧ -

وسمت منزلة عمر في الاسلام . فلم يكن فوقه إلا الصديق الأعظم . وكان عمر بطل الدعوة وفتاها وحارسها . ثبت مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في أحد ساعة اضطراب الجيش وفداه نفسه ، واختاره صلى الله عليه وسلم ليحيب أبا سفيان باسم الاسلام ، فأجابه جواب القوى الظاهر ... حسب أبو سفيان أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) قد قتل . وقتل صاحبه ، واستراحت قريش من هذه البدعة فهي ذاهبة إلى حلقاتها حول الكعبة - التي تحدد بها الاصنام - تتحدث حديثها وترويها ابتداءها ليعتبروا بها فلا يحاولوا الخروج عما ألفوا عليه آباءهم ... حسب أبو سفيان أن الاسلام أثبت من الأرض ، وأخذ من الزمان ، وأنها تزول السموات والأرض ولا يزول ، فاهتبل ، وما هذه الأباطيل ؟ - أطلعة من الحجر وفلذة من المعدن ، تصنعها يدك ، وتدوسها برجلك ، تسويها برب العالمين ؟ ما هذا العقل يا أبا سفيان ؟

كانت أحد فكان عمر عظيماً ظافراً فيها . كما كان في بدر وهما لعمري سواء ، ما غلب المسلمون في أحد . وما غلب فيها المشركون ... ذلك أنهم ما ساروا خمسمائة كيل ، من مكة إلى المدينة ليصبح قائدهم : اعل هبل ... اعل هبل ... ثم يرجع من حيث جاء ، ولكن ساروا ليفتحوا المدينة ، ويقتلوا محمداً ، ويحتشوا الاسلام من أصله ، فكيف يدعون المدينة وما بينهم وبينها إلا مسيرة نصف ساعة ، وما فيها حامية تذكر ولا يدخلونها ولا يحتلونها ولا يغيرون عليها فينبهونها ؟ وكيف ينظر قائدهم العام محمداً صلى الله عليه وسلم وصحبه وهم قواد العدو ، ويكلمهم ويحادثهم ولا يقتلهم ولا بأسرهم ، وهو ظافر بهم ظاهر عليهم ؟ وكيف يعد جيش المسلمين منهزماً ، وقواده ثابتون ، وضباطه مستقرون في أماكنهم ، وقلبه باق ورايته مرفوعة ؟

أما إن الحق أن جيش المسلمين ، قد اضطرب بعد أن غادر الرماة أماكنهم ، وأغار عليه خالد - قائد فرسان المشركين ، وانهمزمت بعض فرقته ، مذعورة خائفة - ولكن القادة ، وفرق القلب بقيت ثابتة في أماكنها . تمنع العدو من الوصول إلى

والتقتا في (بدر) - فالتقى الحق بالباطل - والنور بالظلام ، ووقف الجنود والحراس وجهاً لوجه ... ووقف التاريخ على الطرق يرقب النتيجة - فاما أن ينتصر المسلمون فيمضي صدأ ويرقى في مدارج العلاء متوشحاً بوشاح الحضارة ، وإما أن يندحروا فيندحروا إلى الهاوية ... فلم ينجل الغبار حتى خرجت راية محمد (صلى الله عليه وسلم) خفاقة منصوره وخرج البصوص بين قتيل ملق للسباع والطير قد خسر الدنيا والآخرة ، وأسير في عنقه حبل يساق إلى (المحكمة)

وانعقدت أشرف محكمة وأعدلها - برئاسة سيد العالم - وأفضل الدينين (صلى الله عليه وسلم) وعضوية شيخى المسلمين ، وخليفتي النبي الأمين - الصديق والفاروق - وكان في كرسى (النيابة العامة) شاعر الاسلام ، وعلم الانصار ، البطل الشهيد : عبد الله بن رواحة ...

وافتححت الجلسة ... وثبت الجرم . وكان (جرم مشهوداً) وطلب - (النائب العام) أن يعود المتهمون على حياة جهنم التي كذبوا بها ، وأقدموا عليها - فيكون جزاؤهم جزاء نارياً : يلقون في وادٍ كثير الخطب - ثم يضرم عليهم ناراً

دخلت المحكمة (للذاكرة) فسأل الرئيس الأعضاء آراءهم ، فلان أبو بكر (أرحم الأمة بالأمة) ورأى أن تؤخذ منهم الفدية فتكون قوة للاسلام ولا يقتلوا لأنهم بنو العم والعشيرة والاخوان ، وخالفه عمر (أشد الناس في دين الله) وطلب (إعدامهم) جميعاً : هؤلاء أئمة الكفار وصناديدهم وقادتهم ؛ إنهم يعترضون سبيل الدعوة الجديدة - إنهم قطاع الطريق - فيجب أن تسلم الطريق إلى الله - يجب أن تمضى الدعوة في سبيلها - آمنة مطمئنة

وسكت صلى الله عليه وسلم - ووازن بين الرأيين - ثم نطق بالحكم فكان كما رأى أبو بكر ...

غير أن الحكم قد (استوقف) ونزل (الاستئناف) من السماء : « ما كان لِنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم فيه عذاب عظيم ،

سبحانه وتعالى ، كما سبق له أمثاله ، وقد كانت طاعته للنبي صلى الله عليه وسلم معروفة ، وكان يؤثر رضاه على رضاه ، ولقد أقسم عمر - باراً - أن إسلام العباس يوم أسلم كان أحب إليه من إسلام أبيه الخطاب لو أسلم ، لأن إسلام العباس أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من أهله وولده ، ومن نفسه التي بين جنبيه

- ٩ -

أنجز الله وعده ، فظهر الإسلام وغلب وعم الجزيرة ، ودان له العرب كلهم ، واجتمعوا في عرفات ، في المؤتمر الأعظم ، فأنزل الله آخر آية من القرآن ، آخر مادة من الدستور الخالد : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فاحتفلوا بكال الدين ، وتام النعمة ، وقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً مودعاً ، وأعلن (حقوق الإنسان) كاملة : الحرية والعدالة والمساواة .

وعاد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلم يلبث أن مرض -

جزع الصحابة ، وشغلهم مرضه عن أولادهم وأنفسهم ، فكانوا لا يهناون بمنام ولا يسيغون طعاماً ، ولا يقبلون على عمل ، ولا يرون وجه الدنيا قلقاً عليه صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يودون لو يقتدى بكل مافي الأرض من شيء ليفتدوه ، وكانوا يسألون عنه في كل ساعة ولحظة ، ويعلمون عليه . فلما قيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم طارت العقول ، وخفت الأحلام ، وزلزل الناس زلزالاً شديداً ، وأصابهم حيرة وعراهم ذهول ، فلم يدروا ما يصنعون ، وكانت ساعة من يوم الحشر . ولا عجب فقد كانوا أمواتاً قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان الرسول مطلع حياتهم ، وأول دنياهم ، فلم لا تكون وفاته خاتمة الحياة ، وآخر الدنيا ، وأن يكون يوم قبضه كيوم القيامة ؟ وجزع عمر وهزت الرزية نفسه ، وغلبه حبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستطع أن يتصور أنه قد مات ، ولم يقدر أن يتخيل الحياة بدونه ، فهو أساسها ومصدرها ، وهو شمسها المنيرة ، وهل حياة من غير شمس ؟ وهو روح هذا

المدينة حتى يس فارند على أعقابهم من حيث جاء ، ونجح الجيش الإسلامي في خطته الدفاعية نجاحاً باهراً ، ذلك أن الجيش الإسلامي كان مدافعاً ، وأكبر نصر يناله الجيش المدافع ، هو أن يرذ العدو وينفذ الوطن . وهذا ما قام به الجيش الإسلامي على أتمه ولكنه خسر كثيراً من الضحايا ...

فمركة أحد إذن نصر للإسلام ، وعمر من أعلام هذه المعركة وأبطالها

- ٨ -

واقراً (السيرة) كلها ، فهي سيرة عمر - وإذا لم يظهر اسمه في كل موطن - ولم يبد ذكره في كل موقع - فلأن النبي صلى الله عليه وسلم شمس تسطع في سمائها - فتكسف النجوم مهما كانت وضاء متلاثلة

على أن عمر رضي الله عنه لقوة شخصيته ومضاء عزيمته لا يكاد يخفى ، فقد كان يمثل الجانب القوى المغامر الطامح ، من الجبهة الإسلامية ، لا يرضى بالهواذة ، ولا يعرف اللين ، ولا تأخذه في الله شفقة ولا ملامة

كان يأبى أن توقع معاهدة الحديبية ، ويلح على النبي صلى الله عليه وسلم أن يعمد إلى الحرب : ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار ؟ فعلام نعطى الدنية في ديننا ؟

فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابن الخطاب ! إني رسول الله ، ولن يضيعني الله أبداً

فيشتد عليه الأمر . ويضيق به صبره ، فيذهب إلى أبي بكر وقد عجز الصحابة كلهم عن احتمال المحنة - إلا أبا بكر . فيقول له : يا ابن الخطاب . انه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً ...

فلا يقنع عمر ولا يرضى ، ولكنه يسمع مكرهاً ويطيع ، حتى إذا مرت الأيام ، ووضحت حكمة النبوة ، وكان الفتح ، أدرك عمر سمو رأي النبي صلى الله عليه وسلم ، فما زال يتصدق ويصوم ويصلي ويعتق ، مخافة كلامه يومئذ ، حتى رجا أن يكون خيراً . على أن عمر لم يعارض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعصه ولكنه رأى رآه واجتهاد اجتهده : فكان يأمل موافقة ربه



المرحوم محمود ساي البارودي باشا



المرحوم اسماعيل سبري باشا



المرحوم حفي ناصف بك



المرحوم حانظ ابراهيم بك



المرحوم احمد شوق بك

بمحدثكم عن لؤلؤة دشت دار المصرية وغيرهم
الكاتب الكبير الاستاذ
عباس بن محمود العقاد
في كتابه الجديد
شعراء مصر
رئيسنا منهم في جيل الماضي

يطلب منه الناشر مكتبة النهضة المصرية - ١٥ شارع الميمنية
تليفون ١٣٩٤ - ١٥ - ٦ فروع في مختلف ارجاء مصر

الكون ، وهل يعيش جسم بلا روح ؟ ولم
يطلق أن يسمع أنه قد مات ، فوثب مختطاً سيفه ،
تنطقه عاطفته ، وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، يمنع الناس أن يقولوا : مات رسول الله
انه لم يمت ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى
ابن عمران وقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم
رجع اليهم ، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال
وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات !

وكان أبو بكر رضى الله عنه غائباً في منزله في
السُّخ ، وكان أبو بكر العقل الثابت الذي لا تفلقه
الحادثات ولا تحركه النوائب ، وكان عمر يومئذ
القلب الحساس الذي يفيض بالعاطفة وينشق
بالشعور ، فلما قدم دخل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقبله ثم خرج وعمر يتكلم ، فاستنصته
فلم ينصت ، ومضى يتكلم ، لا مخالفة لأبي بكر ،
ولكن الحس الذي طغى على نفسه ، والحب الذي
غمرها لم يدع فيها سيلاً لغيره . . . حتى إذا تكلم
أبو بكر فقال كلمته العظيمة :

أيها الناس : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد
مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ،
وتلا قول الله عز وجل :

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله
الرسال ، أفان مات أو قتل انقلبتم على
أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر
الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) وسمعها
عمر ، أفان كن استيقظ من حلم ، فرأى أنه كان
مخطئاً ، وتحقق الرزية وأدرك أنه لن يرى بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخارت قواه ولم
تحملة رجلاه ، فسقط على الأرض

دمشق : على الطنطاوي

٤ - دعاية الجاحظ

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

... ولعل أهم ما وصلنا من أساليب الجاحظ في السخر والنهم، تلك الرسالة التي رضعها في التناذر على صاحبه أحمد بن عبد الوهاب الكاتب، وهي الرسالة المعروفة برسالة الترييح والتدوير وقد تعرف أيضاً برسالة الطول والعرض، والتوسع والتدوير، ورسالة المفاهات (١)، ولكنها ذاعت ونشرت بين الناس وطبعت في مصر ولندن بهذا الاسم الأول، قال الجاحظ: «وقد كان أحمد بن عبد الوهاب هذا مفزط القصر ويدعى أنه مفزط الطول، وكان مربعا وتحسبه لسعة جفرتة واستفاضة خاصرته مدورا، وكان جعد الأطراف تصير الأصابع وهو في ذلك يدعى السباطة والرشاقة، وأنه عتيق الوجه، أنخص البطن معتدل القامة تام العظم؛ وكان طويل الظهر قصير عظم الفخذ، وهو مع قصر عظم ساقه يدعى أنه طويل الباد، رفيع العماد، عادي القامة عظيم الهامة، قد أعطى البسطة في الجسم والسعة في العلم؛ وكان كبير السن متقادماً الميلاد، وهو يدعى أنه معتدل الشباب حديث الميلاد؛ وكان ادعاؤه لأصناف العلم على قدر جهله بها، وتكلفه للآبانه عنها على قدر غباوته فيها؛ وكان كثير الاعتراض لهجاً بالمرء شديد الخلاف كلفاً بالمجاذبة متابعاً في العنود مؤثراً للبقالة مع اضلال الحجة والجهل بموضع التشبيه، والخطرفة عند قصر الزاد، والعجز عند التوقف، والمحادثة مع الجهل بشرة المرء، ومغية فساد القلوب... وكان قليل السماع غمراً، وصحيفاً غفلاً، لا ينطق عن فكر، ويثق بأول خاطر، لا يفصل بين اعتزام الغمر واستبصار الحق، بعد أسماء الكتب ولا يفهم معانيها، ويحسد العلماء من غير أن يتعلق فيهم بسبب، وليس في يده من جميع الآداب الا الاتحال لاسم الآداب... فالرجل - على ما يصف الجاحظ - كان دعياً يبالغ في قدره، ويشتط على نفسه، فيجري في حلبة العتاق وهو كودن، ويطاول السماء وأسبابه لاصقة بالأرض، فكأنه الهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد، فهو يزور على الناس مخبره، ويدلس في حقيقته، ويرغم نفسه دعوى عريضة لا يد له فيها ولا رجل... والظاهر أنه بالغ في دعواه وأمعن. وأصر عليها وتمور، قال الجاحظ: «فلما طال اصطبارنا حتى بلغ المجهود منا، رأيت أن أكشف قناعه، وأبدى صفحته للحاضر

والباد، وسكان كل ثغر وكل مصر، بأن أسأله عن مائة مسألة أهزأ فيها وأعرف الناس مقدار جهله، وليسأله عنها كل من كان في مكة ليكشفوا عنا من غربه، وليردوه بذلك إلى ما هو أولى به... ولقد استطاع الجاحظ أن يبدى صفحة الرجل حقاً، وأن يهزأ به ويبلغ منه، فأخذه بأسلوب لاذع، وغمره بفيض من السخر والنهم والتعريض، وتندر عليه في منظره ومخبره، وعلمه ومعرفته، وغروره وأدعائه، وكذبه وتدليسه، وكل ما زعمه لنفسه. وقد استهل الجاحظ القول في براعة فائقة فقال بغمزه وكأنه يدعو له: «أطال الله بقاءك، وأتم نعمته عليك، وكرامته لك! قد علت حفظك الله أنك لاتحسد على شيء حسدك على حسن القامة، وضخم الهامة، وعلى حور العين، وجودة القد، وعلى طيب الأحذوتة، والصنيعة المشكورة، وأن هذه الأمور هي خصائصك التي بها تكلف، ومعانيك التي بها تلهج... ثم أخذ الجاحظ يناقشه في طول وقصره، وعرضه واتساعه، وتريعه وتدويره، وقده وخرطه... ثم أورد عليه شيئاً من آراء الناس عنه واختلافهم فيه، وحسدهم له! ثم ابتدأ فقال: فأنت المدبذب وأنت البسيط، وأنت الطويل وأنت المتقارب. فياشعراً جمع الأعاريض، وياشخصاً جمع الاستدارة والطول، ما يهمل من أفاويلهم. ويتعاضدك من اختلافهم؟ وهل في تمامك ريب حتى يعالج بالحجة؟ وهل رد فضلك جاحد حتى يثبت بالينة؟ وهل لك خصم في العلم، أو ند في الفهم، أو جبار في الحكم، أو ضد في العزم؟ وهل بقلبك الحسد أو يضرك الغبن، وتسمو إليك المني، أو يطمع فيك طامع، أو يتعاطى شأوك باغ؟ وهل يطمع فاضل أن يفورك، أو يأق شريف أن يقصر دونك، أو ينشع عالم أن يأخذ منك؟ وهل غاية الجليل إلا وصفك؟ وهل زين البليغ إلا مدحك؟ وهل يأمل الشريف الا اصطناعك؟ وهل يقدر الملهوف إلا غباءك؟ وهل للغواني مثل غيرك، وهل للناجح رجز إلا فيك؟ وهل يحذر الحادى إلا بذرك؟ وهل على ظهرها جميل حبيب، أو عالم أديب، إلا وظلك أكبر من شخصه؟ وظنك أكثر من علمه، واسمك أفضل من معناه، وحلمك أثبت من نجواه، وصنتك أفضل من فخراه؟ وهل في الأرض حلیم سواك؟ وهل أظلت الخضراء ذا لهجة أصدق منك؟ وهل حلت النساء أجمل منك؟ فمن يطمع في عيك بل من يطمع في قدرك؟ وكيف وقد أصبحت وما على ظهرها خود إلا وهي تعثر باسمك، ولا قينة إلا وهي تفتي بمدحك، ولا فتاة إلا وهي تشكو تباريح حبك، ولا معجوبة إلا وهي تنقب الخروق لمعرك، ولا عجزز إلا وهي تدعوك ولا ضيور إلا وقد شق بك! وكم من فتاة معذبة قد أفرج قلبها الحزن، وأجهد عينها الكد... فأصبحت والهة مبهوتة، وهائمة

ويختم فيه اللحم ، وأنت أبدأ دائماً باليمن ظاهر السعادة ، ثابت الكمال شائع النفع ، تكسو من أعراء وتكن من أشجبه ...

وانطلق الجاحظ بعد ذلك يندد بالرجل فيما يدعيه لنفسه من طراوة الشباب ونضارة الأهاب على أنه كبير السن قد شابت شواته وتحدت أديمه ، وسلخ من العمر غابته . وتجد الجاحظ ظريفاً ظريفاً إذ يقول : « جعلت فداك ما لقي منك الذهب ، وأى بلاء دخل بك على آخر ؟ إكنا ينهان بطول العمر ويهيجان ببقاء الحسن ، وبأن الدهر يحدث لهما الجدة إذا أحدث بجميع الأشياء الخلقة ، فلما أربى حسنك على حسنهما ، وغمر طول عمرك أعمارهما ، ذلا بعد العز ، وهانا بعد الكرامة .. فيا عقيد الفلك كيف أسييت ؟ وبافره الهوى كيف أصبحت ؟ وبيا نسر لقمان كيف ظهرت ؟ وبيا أقدم من دوس ، وبيا أسن من لبد ، وبيا صفى المستقر ، وبيا صاحب المستند ، حدثني كيف رأيت الطوفان ؟ ومتى كان سيل العرم ؟ ومنذ كم مات عوج ؟ ومتى تبلبلت الانس ؟ وكم لبتم في السفينة ؟ وما حبس غراب نوح ؟ هيهات ! أين عاد ونمود ؟ وأين طسم وجديس ؟ وأين أمم ووبار ؟ وأين جرم وجاسم ؟ أيام كانت الحجارة رطبة وإذ كل شيء ينطق ، ومنذ كم ظهرت الجبال ونضب الماء عن التجف ، وأى هذه الأودية أقدم : أنهر بلخ أم النيل أم الفرات أم دجلة ، أم جيحان أم سيحان أم مهران ؟ ... أبقاك الله ! وليس دعائي لك بطول البقاء طلباً للزيادة ، ولكن على جهة التعبد والاستكانة ، فإذا سمعني أقول : أطال الله بقاءك فهذا المعنى أريد ، وإذا رأيتني أقول لا أخلى الله مكانك فالى هذا المعنى أذهب . وفك أمران غريان ، وشاهدان بديعان : جواز الكون والفساد عليك ، وتعاور الزيادة والنقصان إياك ، جوهرك فلكي وتركيبك أرضي ، ثقبك طول البقاء ، ومع دليل القضاء ، فأنت علة للتضاد ، وسبب للتناقض ! فإياك أن تظن أنك قديم فتكفر ، وإياك أن تسكر أنك محدث فتشرك ، فإن للشيطان في مثلك أطعاً لا يصيبها في سواك ، ويحد فيك عللاً لا يجدها في غيرك ، ولست - جعلت فداك - كإبليس وقد تقدم الخبر في بقاءه إلى انقضاء أمر العالم وفاته ، ولولا الخبر لما قدمته عليك ولا ساوئته بك ، وأنت أحق من عذر ، وأولى من ستر ، ولو ظهر لي لما سأله كسؤال إياك وإن كان في التجاذب مثلك فهو في النصيحة على خلافك ، ولأنك إن منعت شيئاً فن طريق التأديب أو التقويم ، وهو إن منع منع بالنشر والارصاد ، وأنت على أية حال شكل ، ونحن نرجع إلى أصل ونلتقي إلى أب ويجمع بيننا دين ، ويزداد الجاحظ ظرفاً وملاحة ، ويشد تهكاً وسخرية إذ يدخل

بمهودة ، بعد ظرف ناصع ، وسن ضاحك ، وغنج ساحر ، وبعد أن كانت ناراً تتوقد ، وشعلة تنوهج ! وليس حسنك أبقاك الله بالذي تبق مع توبة أو تصح مع عقيدة أو يدوم مع عهد أو يثبت مع عزم ، أو يعمل صاحبه الثابت ، أو يتسع للتخير ، أو ينهمه زجر أو يهذه خوف ! ولكنه شيء ينقض العادة ، ويفسخ المنة ، ويعجل عن الروية ونفى مع العواقب ولو أدركت ابن الخطاب لصنع بك أعظم مما صنع بنصر بن حجاج (١) ،

ثم أمعن الجاحظ في التناذر على الرجل ، وراح يتفنن في السخر من حسنه وجماله وخلقه وتركيبه ، وبعد أن افتححه بنظرة إجمالية على نحو ما قدمنا لك أخذ ينظر إليه في كل عضو من أعضائه فقال : وما ندرى في أى الحالتين أنت أجمل ، وفي أى المنزلتين أنت أكمل ، إذا فرقناك أو إذا جمعناك ، وإذا ذكرناك كلك ، أو إذا تأملنا بعضك . فأما كفك فهي التي لم تخفق إلا للتقيل والتوقيع ، وهي التي يحسن بحسنها كل ما اتصل بها ! وما ندرى الكأس في يدك أحسن أم القلم ، أم الرمح الذي تحمله أم المحصرة ، أم العنان الذي تمسكه ، أو السوط الذي تعلقه ؟ وما ندرى أى الأمور المتصلة برأسك أحسن وأما أجمل وأشكل ؟ آلة أم غط اللحية ، أم الأكليل ، أم العصاة ، أم التاج ، أم العمامة ، أم القناع أم القلائد ؟ وأما قدمك فهي التي يعلم الجاهل بما يعلم العالم ، ويعلم البعيد الأقصى كما يعلم القريب الأدنى أنها لم تخلق إلا لمخبر نعر عظيم ، أو ركاب طرف كريم ؛ وأما فوك فهو الذي لا ندرى أى الذي تنفوه به أحسن ، وأى الذي يبدو منه أجمل ؟ الحديث أم الشعر ، أم الاجتماع أم الأمر والنهي ، أم التعليم والوصف ؛ وعلى أننا ما ندرى أى السنتك أبلغ ، وأى يانك أشقى ؟ أفلك أم خطك ، أم لفظك أم إشارتك أم عقدك ؛ وهل البيان إلا لفظ أو خط أو إشارة أو عقد ... وقد علنا أن القمر هو الذي يضرب به الأمثال ، ويشبه به أهل الجبال ، وهو مع ذلك يبدو ضئيلاً نصراً ، ومعوجاً شخناً ، وأنت أبدأ قر بدر غم غمر ، ثم هو مع ذلك يحترق في السرار وينشام به في الحاق ، ويكون نحساً كما يكون سعداً ، ويكون نفعا كما يكون ضرا ، ويقرض الكتان ويشحب الألوان ،

(١) لنصر بن حجاج هذا حكاية في كتب التاريخ ، فقد زعموا أن جرهم في مدأة الليل امرأة تنى :

هل من سيل إلى خر فأشربها أم هل سيل إلى نصر بن حجاج
نضب وطلب نصر بن حجاج فإذا هو قى وسم الوجه أجل ما فيه شعره فأمر
أن يخلق لتقي فتت فكان اتن الناس وهو حليق فأمر بنفيه من المدينة

شقية

السيد عمر أبو ريشة

حُثْتُ خطاي الحمر عن هيكَلِ القدس
وفي حاة الأرجاس كفرت عن رجسى
وما استعذبت نفسى الشقاء وإنما
وجدت عزاء النفس أقتل للنفس
دعوى أعب السم من أ كؤوس الملا
وأقضى على تلك البقية من حسى
كفانى نفقت الكف من يانع المنى
وبعت صباى الغض بالثمن البخس ١١
وما من ضحايا النار، حسناء كأعب
عليها جلال الحسن فى العرى واللبس
تمشت ونفحات المحاجر حولها
ومن خلفها الكهتان خافته الجرس
ولما ذكت فى المذبح النار تمت
مصلىة والضرس يقرع بالضرس
وزجت بها عريانة ففجرت
جراح وقطرات الدما صبغة النفس
وفى كل جرح فوهة من جهنم
تولول كالريح الموججة البأس
بأهلك منى عند فصر مآزرى
على مذبح الشهوات للصبح المسمى ١١
يؤرقنى الماضى فأنشر طرسه
وألسته الآلام تقرأ فى الطرس
وأهيس والأشباح تعثم ناظرى
فيرتد إشفاقاً فأقصر من هجسى
وأزجر دمعى أن يشور وزفرنى
فلا دمعى تسلى، ولا زفرنى تنسى
تفرأ ابتساماتى عيون أخى الهوى
وخلف ابتساماتى جراح من البؤس
طلعت على الأيام والطهر حارسى
يحبك على عطفى جلبابة القدسى

على صاحبه من ناحية عليه، أو قل من ناحية جهله ! فقد أورد عليه كثيراً من الخرافات والمخالات وتلقف له جملة مما هو شائع عند العامة من الأكاذيب والأخبار، وجعل هذا كله من باب المسائل ورؤوس المعضلات، فأخذ يعايبه بها ويسأله عنها : فسأله عن الشقائق والشهبان، ومن قيرى ومن عيرى ومن جلندى، ومن أولاد الناس من السعالى، ومتى تخرعت خزاعة، ومتى طوت المناهل طى، وما القول فى هاروت وماروت، وما عداوة ما بين الديك والغراب، وما صداقة ما بين الجن والأرضة، وما علة خلق الخنزير؟ وكيف اجتمع فى الذبابة سم وشفاء، وكيف لم تقتل الأفعى سمها، وكيف لم تحرق الشمس ما عند قرصها، ومذكم كان الناس أمة واحدة ولقاتهم متساوية، وبعدكم بطن أسود الزنجى وابيض الصقلي، وما عتقاء مغرب، وما أبوها وما أمها؟ وهل خلقت وحدها أم من ذكر وأتى؟ ولم جعلوها عقماً وجعلوها أنثى. إلى آخر ما تلقفه الجاحظ من الطرائف وبلغ به مائة مسألة كلها من هذا الطراز على هذا النمط، ولعل من المعلوم أنه لم يكن يطمع فى الإجابة من صاحبه بل إنه ليقول له : « وقد سألتك وإن كنت أعلم أنك لا تحسن من هذا قليلاً ولا كثيراً؟ فإن أردت أن تعرف حق هذه المسائل وباطلها وما فيها خرافة وما فيها محال، وما فيها صحيح وما فيها فاسد، فألزم نفسك قراءة كتفى ولزوم بائى وأبتد ببنى التشبيه والقول بالنداء، واستبدل بالرفض الاعتزال، وأن أتكرر منعك بعد التمكن والبذل وبعد التفرغ والشحذ فلا يبعد الله إلا من ظلم! »

ولا شك أن الجاحظ قد ابتدع رسالته هذه ابتداءً، وآتى بها على غير مثال سابق فى الأدب العربى، ولا شك أنها قد جاءت قوية رائعة تعلن عن فن الرجل فى بابها، واقتداره على أمثالها. ولقد كان الجاحظ على اعتزاز بها غاية الاعتزاز، فأشار إليها بالأكابر، وأحال عليها بالاقدار (١)، واقتبس منها فى بعض ما كتب. وقد تأثر بها بعض الكتاب لحاول الخوارزمى أن يحذو حذوها فقلدها فى رسالة كتبها إلى أحد أصحابه الشعراء يعرف بالبديهى فبلغ أرباباً، ولكن دون ما بلغ الجاحظ بكثير. ثم جاء البديع الهمداني فاتبع الطريق فى بعض مقاماته إذ كان يهاجى بعض أصحابه ولكن يظهر أنه نظر إلى الخوارزمى أكثر مما نظر إلى أبى عثمان فسلبه كثيراً من تعبيراته، وخرج من التعريض إلى الشتم، ونزع عن التهم إلى السب، وبدل التلميح بالنصريح، والمرح بالتجهم، وهذا كله غير ذلك كله، فنعرف الصنفين، وافرقي بين الطريقتين ٩...

محمد فخرى عبد اللطيف

« الكلام سة »

تمطيت لاستغوائه فتشاببت بعيني أفواه الدعارة والرجس !
وما خفَّ للذَّات حتى تركته يصارع داء قد تحفَّز للغرس
إذا أن هزَّت رعدة الأنس أضلعي وأفرخي إن لاح في صفرة الورس
فصرت إذا ما اشتدَّ دأى تركته
ليعدى وإن أبصرت من خلفه رمسى !
كما النحلة الغضبي لدى وخز خصمها
تموت ... ولكن وهي مرتاحة النفس !!
عمر أبو ريته (حلب)

أترانا فراشة من؟

للأستاذ خليل هنداوي

أتراها فراشة سبحت في مائج الكون، والخيال الجناح؟
دأبها أن تهيم فوق الروابي يلتقيها منها الشذا الفواح
عيشها بسمه تشع ، وفيض من سنا اللهب ساطع وضاح
الصباح الندي يحنو عليها كل ما حولها ندى وأقاح
ليلها - دفقة من النور تمشي والليالي - مع الغرام - صباح
وتراني فراشة حثا الشوق وهمت فلم يطعها جناح
فترامت ... ولا تسل إذ ترامت! كان أدري بحالها المصباح
خليل هنداوي

رسالة المنبر

إلى الشرق العربي

بقلم الأستاذ فليكس فارس

خطب وأبحاث وقصائد ترمي إلى تعزيز الرابطة
العربية وإقامة حضارتها وإصلاح أسرتها
فصول عن فلسفة جبران خليل جبران وحياته
ورد على كتاب الأستاذ نعيمة فيه

يقع الكتاب في ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو مصدر
بمقدمة من قلم الأستاذ الكبير عبد الرابطة العريية عمود بسبوت
رئيس مجلس الشيوخ ، وبكلمات الأعلام المفار له محمد رشيد
رضا ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، ومصطفى صادق الرافعي

تشيعني الأبصار أين توجهت
خطاى فأمشى مشية الرجل النكس
وضج بأعطافى الغرور فلم ألن
لصرخة ولهان تمخض بالياس
كنزجسة في الحقل تلم ساقها
ثغور من الأزهار طيبة الغرس
ولكنها ... والكبرياء تهزها
أبت أن ترى في غيرها رفعة الجنس
حنت رأسها كيا . تقبل ظلها
غرورا فأتت وهي محنية الرأس !!
ولما رأيت الفقر أزيد فكه
وكشَّر عن أنياب منهرت طلَس
صحوث فلم أبصر حوالى راحا
بخفف من يؤسى ويطرده من تعسى
وألقتى الأقدار في كف أربع
كما قبضت كف البخيل على الفلس
بيث لي النجوى فيطربني بها
فأبني من الآمال أسا على أس
فكنت كشاة ألفت العيش زاهرا
تروح على أنس وتغدو على أنس
يهش لها الراعى فترقص حوله
فيلقمها الأعشاب بالأنمل الخمس
يسمنها ... للذبح وهي تظنه
رحما يقيها صكة الناب والضرس
فولبت أمانى العذاب تلاشياً
كما يتلاشى الثلج من قبلة الشمس
وضاقت بي الدنيا فهمت طريدة
أفتش عن سعدى قيلطمني نحسى !
فما لاح لي إلا دم متلاطم
فني لجه أغدو وفي لجه أمسى
أرى عنده للإتقام من الورى
مناهل تنسى ما أجرع من يؤس
فرب قى ما دنس الخزي قلبه
نصبت له سهم الإساءة في القوس

النفس وخلودها عند ابن سينا

للدكتور ابراهيم يويى مذكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٣ —

لم يقف ابن سينا عندما تقدم في إثبات وجود النفس ومغايرتها للبدن، بل افترض فرضاً آخر هو من أبدع حججه وأكثرها ذيوياً، ونعني به فرض الرجل المعلق في الفضاء . فلو تصورنا أن شخصاً ولد مكتمل القوى العقلية والجسمية ، ثم غطي وجهه بحيث لا يرى شيئاً مما حوله ، وعلق في الهواء أو بالأولى في الخلاء كي لا يحس بأي احتكاك أو اصطدام أو مقاومة ، ووضعت أعضاؤه وضعا يحول دون تماسها أو تلاقبها ، فانه لا يشك بالرغم من كل هذا في أنه موجود وأنه كان يعز عليه إثبات وجود أى جزء من أجزاء جسمه . بل قد لا تكون لديه فكرة ما عن الجسم والوجود الذى تصوره مجرداً عن المكان والطول والعرض والعمق ، وإذا فرض أنه تخيل في هذه اللحظة بدأ أو رجلاً فلا يظن يده ولا رجله ، وعلى هذا إثباته أنه موجود لم ينتج قط عن الحواس ولا عن طريق الجسم بأسره : ولا بد له من مصدر آخر مغاير للجسم تمام المغايرة وهو النفس^(١) . يقول ابن سينا : « يجب أن يتوهم الواحد منا كأنه خلق دفعة وخلق كاملاً ، ولكنه حجب بصره عن مشاهدة الخارجات ، وخلق يهوى في هواء أو خلاء هويماً لا يصدمه فيه قوام الهواء صدماً ما يحوج إلى أن يحس ، وافرقة بين أعضائه فلم تلاق ولم تماس ، ثم يتأمل أنه هل يثبت وجود ذاته فلا يشك في إثباته لذاته موجوداً ، ولا يثبت مع ذلك طرفاً من أعضائه ولا باطناً من أحشائه ولا قلباً ولا دماغاً ولا شيئاً من الأشياء من خارج ، بل كان يثبت ذاته ولا يثبت لها طولاً ولا عرضاً ولا عمقاً . ولو أنه أمكنه في تلك الحال أن يتخيل بدأ أو عضواً آخر لم يتخيله جزءاً من ذاته ولا شرطاً في

ذاته ؛ وأنت تعلم أن المثبت غير الذى لم يثبت ، والمقر به غير الذى لم يقر به ، فإذن للذات التى أثبت وجودها خاصية لها على أنها هو بعينه غير جسمه وأعضائه التى لم يثبت^(٢) ، ، وواضح أن هذه البرهنة قائمة على أن الإدراكات المتميزة تستلزم حقائق متميزة تصدر عنها ، وأن الانسان قد يستطيع أن يتجرد من كل شئ اللهم إلا نفسه التى هي عماد شخصيته وأساس ذاته وماهيته .

وإذا كانت الحقائق الكونية كلها تصل إلينا بالواسطة فهناك حقيقة واحدة ندركها إدراكاً مباشراً ولا نستطيع أن نشك فيها لحظة ، لأن عملها يشهد دائماً بوجودها . وما أصدق سقراط حين قال : اعرف نفسك بنفسك . ولئن كنا نستدل على وجود جسم ما بالحيز الذى يشغله فالتفكير الذى هو خاصة النفس الملازمة لها دليل قاطع على وجودها

وقد سبق إلى هذا المعنى أغسطى فيلسوف المسيحية في القرن الخامس الميلادى وسلك في البرهنة على وجود النفس سبيلاً تشبه من بعض الوجوه السبيل الأنفة الذكر ، فذهب إلى أن الجسم والنفس حقيقتان متميزتان تمام التميز ، ففي حين أن الأول يشغل حيزاً وله طول وعرض وعمق لا حيز للثانية مطلقاً ، وخاصيتها الوحيدة هي التفكير ؛ ومن أجل هذا كان شعورنا بها وإدراكنا لها إدراكاً مباشراً ، فان الفكر لا يحتاج إلى واسطة في فهم ذاته ، وما دامت النفس تفكر فهي موجودة ، لأن تفكيرها يساوى وجودها تمام المساواة . وقد يستطيع الانسان أن يتجرد عن جسمه وعن العالم الخارجى في كل مظهره ، وأن ينكر الحقائق على اختلافها وأن يشك في كل شئ . إلا نفسه التى هي مصدر شكه ومبعث تفكيره فإنه لا يجد إلى الشك فيما سيلا^(٣)

وهنا نتساءل : هل تأثر ابن سينا بأغسطى أم الأمر مجرد توافق خوارى ؟ لم يثبت مطلقاً أن مؤلفات الأخير نقلت إلى العربية ، ولا نجد أية وسيلة سمحت لابن سينا بالأخذ عنه ، ويرجع الأستاذ جلبن أنهما معا صدرا عن أصل اسكندرى ولا سيما وهما شديدا

(١) ابن سينا ، (المصدر السابق) ، ج ١ ، ص ٢٨١ .

(2) St Augustin, (De trinitate), X, cap. X, art. 13-16.- Gilson, (Introduction à l'étude de St Augustin), 56-59.

(١) ابن سينا ، (الاشارات) ، ١١٩ - ١٢٠ (النقاء) ، ج ١ ، ص ٢٦٢

ومخيلتنا أثناء النوم تغدق علينا صوراً وأوهاماً لا أساس لها . وأخذ يشك في كل شيء إلى أن انتهى به شكه إلى حقيقة ثابتة هي أنه يفكر ؛ وما دام يفكر فهو موجود ، وفي مقدور الشكاك واللاأدرين أن يهدموا الحقائق على اختلافها إلا هذه الحقيقة التي تحمل معها برهانها ^(١) .

يقول ديكارت : « قد أستطيع أن أفترض أن لاجسم لي وأن لا عالم ولا مكان أحل فيه ، ولكنني لا أستطيع لهذا أن أفترض أتي غير موجود ، بل على العكس ينتج قطعاً وفي وضوح من شك في حقيقة الأشياء أتي موجود ... فقد عرفت إذن أتي جوهر ذاته وطبيعته التفكير ، ولا يحتاج في وجوده إلى مكان ولا يخضع لشيء مادي ، وعلى هذه الصورة الأنا أو النفس التي هي أساس ما أنا عليه متميزة تمام التميز من الجسم ، بل هي أيسر معرفة منه ، حتى في حال انعدامه لا تنقطع هي عن أن توجد مع كل خصائصها » ^(٢) .

هذا هو الكوجيتو ^(٣) الديكارتي القائل : « أنا أفكر فأنا إذن موجود » . وهذه هي البرهنة عليه . ولا يجد القاري صعوبة في إدراك وجوه الشبه بين هذه البرهنة والبرهنتين السابقتين الأغسطينية والسينوية ، وقديماً لاحظ أن تولد ديكارت يحاكي أغسطين تمام المحاكاة في إثباته وجود النفس وتميزها من البدن ^(٤) . ولم يبق مجال للشك في أن أبا الفلسفة الحديثة قرأ مؤلفات أغسطين وخاصة ما اتصل منها بالنفس وخلودها ^(٥) . وحديثاً استطاع المسويليون بلنشييه أن يبين في سعة وتفصيل جديرين بالاطراء الأفكار التي سبقت الكوجيتو الديكارتي ومهدت له ^(٦) ، غير أنه فاته أن يشير إلى الصلة بينه وبين برهان الرجل المعلق في الفضاء . وقد حاول أخيراً المستشرق الإيطالي فورلاني أن يتلافى هذا النقص ، فكتب في مجلة Islamica فصلاً عنوانه

المتعلق بأفلوطين وتعاليمه ^(١) ، بيد أننا لم نقف على شيء مما وصل إلينا يشهد بأن رجال مدرسة الاسكندرية حاولوا البرهنة على وجود النفس على النحو السابق . ولست ندرى ما المانع أن يكون برهان الرجل المعلق في الفضاء من ابتكار ابن سينا واختراعه ، خصوصاً وهو قد عودنا صوراً فرضية أخرى كثيرة كحديث حتى بن يقظان ورسالة الطير التي تدل على خيال خصب ومهارة في التصوير . وعلى فرض أنه عالة على من قبله في بعض عناصر برهانه ، فليس هناك شك في أن الصورة الجذابة التي صورها بها من بنات فكره وإنتاجه الشخصي ، ويخيل إلينا أنه كان معتبطاً بفنه معجبا بتصويره ، ولا أدل على هذا من أنه أبرزه مرتين في كتاب الشفاء وعاد إليه مرة ثالثة في إشارات ^(٢) .

وهذا التصوير هو الذي ميز برهنته من برهنة أغسطين وإن كانتا تلتقيان في الغاية والمرمى ، وهو الذي استلقت أنظار فلاسفة القرون الوسطى المسيحيين واستولت على نفوسهم ، فأعاده الكثيرون منهم بنصه أحياناً ، وخاصة أتباع أغسطين مثل غليوم الأقرني وحنا الروشيني ، وكأن هؤلاء قد ازدادوا تعلقاً بالفيلسوف العربي حين رأوه يقترب من أستاذهم اللاتيني ^(٣) .

ولا نفلت في حاجة إلى أن نشير إلى أن كتاب الشفاء ترجم إلى اللاتينية . وكان للجزء المتعلق بالنفس منه أكبر الأثر في رجال الفلسفة المسيحية ، ولم يكف دومينقوس جندساليوس يترجمه في القرن الثاني عشر الميلادي حتى أقبلوا عليه يتدارسونه ويأخذون عنه مختلف الآراء ، ولا يرون على أنفسهم غضاظة في أن يعزوا البرهان الذي تحدث عنه إلى صاحبه ومبتكره ابن سينا

ويظهر أنهم استمروا يرددونه فيما بينهم إلى عصر النهضة وإلى أن جاء ديكارت فنأدى بمبدئه المشهور Le Cogito الذي ينطوي على أفكار أغسطين وسينويه ، ففي بحثه عن الحقيقة عاهد نفسه على أن يرفض كل ما يتطرق له الشك ، لأن حواسنا في حال اليقظة تخدعنا وتنقل إلينا العالم الخارجي نقلاً مشوهاً ،

(1) Descartes, (Discours), 31-33 (éd. Tannery)

(2) (Thid. ;) ef. (Meditatio 11) .

(٣) فقلنا تعريب هذه الكلمة اللاتينية الأصل لما لها من منزلة تاريخية .

(4) Hamelin, (Le système de Descartes), P. 122.

(5) Bréhier, (Histoire de la plùlos.), 11, 73.

(6) L. Biancher, (Les antécédents historique du je perse donc je suis), Taris, 1920.

(1) Gilson, (Archives), r. IV, P. 41 en bas.

(٢) ابن سينا ، (الشفاء) ، ج ١ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ ، ٣٦٢ (الإشارات) ،

١١٩ - ١٢٠ .

(3) Gilson (Archives), r, 53, IV, 41-42 en bas.

له (١). وإذا كان ديكارت مديناً لأغسطين بشيء في صوغه وتصويره فهو مدين بدرجته لا تقل عن هذا لابن سينا كذلك، خصوصاً وإلى الأخير يرجع الفضل في بعث أفكار أغسطين من مرقدتها وتوجيه اللاتينيين من جديد نحوها توجيهاً نشيطاً في الأربعة قرون السابقة لديكارت. وهو مع زميله ابن رشد قد أثارا في العالم الغربي منذ القرن الثاني عشر مشكلة العقل والنفس ونظرية المعرفة بوجه عام أثارة امتد صداها إلى عصر النهضة.

وغنى عن البيان أنه لا يعيب الكوجيتو مطلقاً أن يكون بعض الباحثين قد اهتدى إليه من قبل عن طريق آخر، فإن اتفاق الآراء على أمر من الأمور يزيد قوة فوق قوته ويقيتاً إلى يقينه. وليس ثمت داع لأن نجهد أنفسنا، كما صنع هملان وغيره في أن نثبت بأى ثمن أن ديكارت مبدعه الأول، فإن هذه محاولة فاشلة ولا تتفق مع روح البحث العلمى الحديث (٢). ولا يعيب ديكارت نفسه أن يكون قد سبق إليه في صورة غير الصورة التي أظهره فيها، وثوب غير الثوب الذي ألبسه إياه، فإن الفكرة الواحدة تتشكل بأشكال مختلفة تبعاً للذاهب الفلسفية التي تبدو فيها

يتبع إبراهيم مذكور

(١) يوافنا الأستاذ جلسن كذلك على هذا الرأي

(Archives, I, 63 en bas).

(2) Hamelin, (Le système de Descartes, 122, 23

التلميذ

الرواية الخالدة التي وضعها كاتب فرنسا العظيم

بول بربريه

ونقلها إلى العربية

الأستاذ عبد المجيد نافع

في أسلوب عربي مبين

نوع في جميع المكاتب الصغيرة والنشر عشرة قروش صاعاً

وابن سينا والكوجيتو الديكارتى (١). وفيه يعرض برهان الفيلسوف العربى وترجمته اللاتينية القديمة، ثم يقارنه بما جاء به ديكارت موجهاً عنايته الكبيرة إلى بيان أثر الخواص والمخيلة لدهما، وينتهى بعد كل هذا إلى النتيجة الآتية: وهى أنه يستبعد أن يكون ديكارت قرأ ابن سينا رأساً لقلة المطبوعات وعدم تداول مؤلفاته في الأبدى، ويرجح أن يكون قرأه عن طريق غليوم الاقرنى (٢)

ولكننا نلاحظ أن ترجمة كتاب الشفاء اللاتينية، أعيد طبعها في فينيس ثلاث مرات بين سنة ١٤٩٦ وسنة ١٥٤٦، فتكون آخر طبعة منها ظهرت قبل ميلاد ديكارت بخمسين سنة فقط. ونحن نعلم كيف أثرت مشكلة النفس وخلودها لعنده، فمن المحتمل أن يكون الباحثون قد لجأوا إلى كل المصادر الممكنة لحلها، وابن سينا من أطول الناس حديثاً فيها وأكثرهم غراماً بها. وقد أبان رينان من قبل مقدار تعلق السربونيين ورجال الدين في باريس بالفلسفة الإسلامية بوجه عام ومناقشتهم لها وردم عليها وبحثهم عن أصولها ومصادرها، فلا يمكن أن تكون قد فاتتهم مطبوعات فينيس المتقدمة (٣) وفي مكتبة باريس الأهلية أكثر من نسخة من هذه المطبوعات، ويغلب على الظن أنها وصلت السربون منذ ذلك التاريخ (٤). وإذا كان أرنولد قد أشار إلى أغسطين فقط ليبين أن ديكارت عالة على من قبله، فلعل ذلك راجع إلى أنه تخير شخصية معروفة من العالم المسيحي المحيط به

على أن ديكارت لم ينته إلى ابن سينا بواسطة غليوم الاقرنى فقط، بل يغلب على ظننا أنه اهتدى إليه أيضاً في ثنايا مؤلفات روجير ليكون التي قرأها وتأثر بها في نواح مختلفة، ومهما يكن فسواء أقرأ ديكارت ابن سينا مباشرة أم عن طريق غير مباشر فكل الدلائل قائمة على أن برهان الرجل المعلق في الفضاء جدير بأن يعد بين الأفكار التي سبقت الكوجيتو الديكارتى ومهدت

(1) G. Furlani, (Avicenna e il Cogito).

(2) (Ibid.), P. 70.

(3) Renan, (Averroës), 267-78.

(4) Catalogue de la Bibliothèque nationale, Réserve, R. 82 (1), 82 (2), 83, 618.

١٥ - تاريخ العرب الأدبي

للاستاذ رينولد نيكلسون

ترجمة حسن محمد ميسرى

ومن المحتمل أن يكون فجر العصر الذهبي للشعر العربي هو هذه السنوات العشر الأولى من القرن السادس بعد الميلاد. فحوالى هذا الوقت كان قد اشتد ضرام حرب البسوس التى سجلت سنيها عاما فعاما أشعار معاصريها إبان ذلك الوقت، كما أن أول قصيدة عربية أنشئت - كما تذكر أخبارهم - قصيدة نسج بردها المهلهل بن ربيعة التغلي في رثاء أخيه كليب الذى كان مصرعه سببا في إشعال نار الوغى واشتجار رماح قبيلتي بكر وتغلب. وعلى كل حال ففي خلال القرن التالى لهذه الحادثة يجد كثيرا من المنشدين في جميع أصقاع شبه الجزيرة العربية ظلوا مقتفين لهجة شعرية واحدة في معان مشتركة ظلت محترمة لم تمسها يد التغير والتبدل حتى نهاية العصر الأموى (٧٥٠ م) ومع ذلك فقد سادت الأدب أيام الخلافة العباسية روح جديدة سرعان ما أثبت قرائم سلطانها الذى ظل على قوته حتى اليوم تقريبا، وكان هذا النمط يتمركز في القصيدة (١) التى تعد الصورة - أو بتعبير أدق - المثل الأعلى لما يمكن تسميته بالعصر الرائع للأدب العربى. وتختلف القصيدة في عدد الأبيات التى تتألف منها، لكنها قلما تقل عن خمسة وعشرين أو تربو على المائة، ولا يكون التصريح إلا فى المطلع، ثم تجرى القافية على روى واحد حتى نهاية القصيدة. أما الشعر المرسل Blank Verse فغريب عن العرب الذين لا يرون الإيقاع حلية وتنميكا أو تقييدا منها بل يعدونه روح القصيدة وجوهرها. وأغلب ما تكون القوافى رقيقة فيها أنوثة كقولهم سخينا، تلينا، مينا، مخلدى، بدى، عودى، رجاما، سيلما، حراما. وإن تذليل عقبات القافية الواحدة ليتطلب مهارة فنية كبرى حتى فى لغة يكون من أشد خصائص تكوينها تعدد القوافى وكثرتها، وإن أطول المعلقات لا أقصر من

مرثية جراى، أما من ناحية الوزن فللشاعر الحرية فى اختيار أى بحر إلا الرجز الذى يعد أتفه من أن يستعمل فى القصيدة. يد أن حرته لاتصل إلى اختيار الموضوعات أو إلى طريقة استغلالها بل نرى عكس ذلك، إذ أن مجرى أفكاره مقيد بشروط قاسية لا يستطيع الفكالك منها، وفى ذلك يقول ابن قتيبة: «وسمعت بعض أهل العلم يقول إن مقصد القصيد إنما ابتدئ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فشكى وبكى وخاطب الربيع واستوقف الرفيق ليكمل ذلك سببا لذكر أهلها الطاعنين عنها إذ كان نازل العمد فى الحلول والظعن على خلاف ما عليه المدر لاتجاعهم الكلاء، ثم وصل ذلك بالنسب فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصباة ليبليل نحوه القلوب لأن النسب قريب من النفوس لما جعله الله فى تركيب العباد من محبة للفرز واللف للنساء، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقا منه بسبب، فإذا علم أنه استوثق من الإصغاء إليه عقب بإيجاب الحقوق فرحل فى شعره وشكا النصب والسر وسرى الليل وانضاء الراحلة، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء بدأ فى المديح فبعثه على المكافأة وهزه على السماح وفضله على الأشباه» (١).

وهناك مئات من القصائد لا تخرج عن هذا الوصف الذى لا يجب على كل حال أن يعتبر النموذج الثابت على الدوام إذ يتجاوز الشاعر فى بعض الأحيان عن المقدمة الغزلية وخاصة فى المراتى، وإذا لم تقده على الفور إلى الغرض المنشود تلاها وصف دقيق صادق لبعير الشاعر أو حصانه الذى يحمله خلال القفار فى سرعة الظبي النافر أو الحمار الوحشى أو الظليم. وشعر البدو يفيض بالدراسة الجميلة لحياة الحيوان ووصفها (٢)؛ ولا شك أنهم كانوا يولون المديح مهم وعنايتهم، كما كان أحب شئ إلى نفوسهم. وقد استطاع الشاعر أيام الجاهلية أن يرضى نفسه فلم تكن القصيدة وحدة قائمة بذاتها، ولكنها أشبه ما تكون بمجموعة

(١) الشعر والنثر لابن قتيبة (طبعة لندن ١٩٠٢) ج ١ ص ١٤ س ١٠ وما يليه.

(٢) تلكه Funf Mo'allaqat (المعلقات الخمس) ص ٢ وما يليها. يذكر تلكه ملاحظة دقيقة تصور الطبيعة الصناعية لهذا الشعر تلك هى أن بعض حيوانات حرد مألوفة ومعروفة عند العرب كالنعم والزبوع والأرانب قد أن يشار إليها أو يرد لها وصف فى شعرهم. ومن الواضح أن ليس من سبب لهذا سوى أنها لا تدخل ضمن ما تمارسه عليه.

(١) راجع التعريف المختلفة لكلمة قصيدة عند:

Jacob: Studien in Arab. Ditchern, Heft III, P. 203.
Ahlwardt: Bemerkungen über die Dechtheit der Alten Arab. Gedichte, P. 24. seq.

صور رسمتها يد واحدة أو كما يقول الشرقيون مكونة من لآلى مختلفة الحجم والقيمة ، ثم ألف منها عقد

قد يمكن وصف الشعر العربي القديم بأنه نقد تصويري للحياة الجاهلية وأفكارها ، إذ نجد الشاعر في هذه البيئة بعيداً عن التكلف والميوعة والهرجة . وليست تسمية مجموعة أبي تمام بالحلماسة ، من قبيل الصدف . أو لأن ذلك عنوان من عناوين الكتاب أو فصل من فصوله يشغل قرابة نصفه ، بل لأن الحلماسة تشير إلى أجل فضيلة عظمها العربي ، فقد امتدح البسالة في القتال والصبر عند اشتداد البلاء ، والجدي في طلب الثأر ، وحماية الضعيف والازدراء بالآهوال ، أو كما قال تميمون وكافح واطلب تجد ولا تخضع ،

ومن صور المثل الأعلى للبطل العربي الشنفرى الأزدي ، وقرينه في الغزو والسلب « تأبط شراً ، فقد كانا قاطعي طريق طريدين ، كما كانا شاعرين مبدعين ، أما عن الأول فيروى أن بني سلامان اختطفوه طفلاً وربوه فيهم ، ولم يعرف أصله حتى نما عوده فأقسم لينتقم من خاطفيه وعاد إلى قبيلته الأولى ، ونذر أن يفك بمائة رجل من بني سلامان فثل بثمانية وتسعين ثم نجح مطارده في أسرهم ، وبتر إحدى ذراعيه في دفاعه عن نفسه فشد على أعدائه بيده الأخرى وقتل واحداً منهم . ولكنهم تكاثروا عليه فقلب على أمره وقتل وقديق على إيفائه نذره رجل واحد ، وبينما كانت أقحوفته ملقاة على الأرض مر بجوارها رجل من أعدائه فركلها بقدمه فدخلت فيها شظية من جمجمته ونفل الجرح ومات الرجل ، ومن ثم قتل المائة (١) ، وفي قصيدته الموسومة بلامية العرب يذكر طرفاً من صور بطولته وبسالته وعنا حياة السلب :

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى

وفيها لمن خاف القلي متحول

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ

سرى راعباً أو راحباً وهو يعقل

ولى دونكم أهلون سيد عَمَلَسْ

وأرقط زُهلول وعرفاء جبال

(1) Sir Charles Lyall : Ancient Arabian Poetry, P. 83.

هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعُ
لذتهم ولا الجاني بما جرَّ يَحْذَلُ

وكلّ أبى بإسـل غير أنـي

إذا عرّضت أولى الطرائد أبـل

وإن مُدَّتْ الأيدي إلى الزّاد لم أكن

بأعجلهم إذ أجشعُ القوم أعجل

وما ذاك إلا بسطة عن تفضل

عليهم وكان الأفضل المتفضل

وإنى كفانى فقد من لست جازياً

بحسنى ولا فى قربه متعل

ثلاثة أصحاب : فؤاد مشيع ،

وأبيض إصليت ، وصفراء عيطل

هتوف من الملـس المتون يزينها

رصاصع قد نيطت إليها ومحمل

إذا زال عنها السهم حنت كأنها

مرزاة ثكلى ترن وتغول (١)

ثم يأخذ فى الكلام عن قبيلته التى تلفظه لفظ النواة وتركه

هائماً على وجهه حينما يتكالب عليها الأعداء مطالبينها بثأر تلك

الدماء المهرقة ويقول :

فلا تقبرونى إن قبرى مُحَرَّم

عليكم ولكن أبشـرى أم عامر

إذا احتملوا رأسى فى الرأس أكثرى

وغودِرَ عندَ الملتقى ثم سآبرى

هنا لك لا أرجو حياة تسرني

سجيس الـيالى مُبـسلاً بالحرير (٢)

(١) يجد القارىء هذه القصيدة كاملة بالعربية فى كتاب دى سالى السسمى وكتاب الألس المقيد الطالب المستفيد ، وجامع الشذور من منظوم ومثور ، وترجمها بنفسه إلى الفرنسية فى Chrestomathie Arabe ص ٢٢٧ وما إليها ، وكذلك ترجمها إلى الانكليزية شعراً G. Hughes (لندن ١٨٩٦ م) وقد اشار لذلك إلى كثير من التراجم لما فى Beiträge Zur Kenntniss d. Poesie der Alten Araber, P. 200.

(٢) الحلماسة ٢٨٢

هذه وأعلى شأنا وأفند تأثيراً في نفوسهم ، تلك هي « الشرف » ،
ولكن ما هي خصائص الشرف البارزة وميزاته الواضحة
التي تنطوي عليها فضيلة المروءة كما كان يفهمها عرب الجاهلية ؟
لقد أشرنا إلى أن شجاعة العرب تشبه تمام الشبه شجاعة
الأغريق ، يولدها ثوران النفس ولكنها تتلاشى إذا الإبطاء
أو التراخي ^(١) ومن ثم كان البطل العربي رجل جلاد يقتحم
الأهوال ، ويزدري الأخطار ، كثير الفخر كما يظهر لنا ذلك من
معلقة عمرو بن كلثوم ، وإذا رأى أن ليس لما يفوته بالهرب خطر
عظيم أسرع غير ملهم ، ولكنه يحارب ويناضل حتى آخر رمق
فيه ذاباً عن نساته اللأني كن إذا جد الجدد واشتكت الرياح ،
صحب القيلة ووقف خلف صفوف القتال :

لما رأيتُ نِسَامَنَا يَفْتَحُن بِالْمَغَارِمِ شِدَّةَا
وَبَدَتْ لِمَيْسُ كَانَهَا يَذُرُ السَّمَاءَ إِذَا تَبَدَّيْ
وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا الَّتِي تَخْفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جَدَا
نَازِلْتُ كَبَشْتَهُمْ وَلَمْ أَرَمِنْ نِزَالِ الْكَبِشِ بَدَا ^(٢)

وكانت الديمقراطية دستور القيلة يتولى الإشراف على
تطبيقه شيوخها الذين استحقوا السيادة بما لهم من شرف النسب ،
ونبل الأخلاق ، وسعة الثروة ، وحكمة الرأي ، وكال التجربة ^(٣)
كما أشار إلى ذلك شاعر بدوي ^(٤) بقوله :

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَأَسْرَاعِهِمْ وَلَا سَرَاةً إِذَا جَبَّاهُمْ سَادُوا
وَالْبَيْتُ لَا يَبْتَنِي إِلَّا لَهُ عِمْدٌ وَلَا عِمْدٌ إِذَا لَمْ تَرَسْ أَوْتَادُ
وَأَنْ تَجْمَعَ أَوْتَادُ وَأَعْمَدُ

يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كادوا ^(٥)

من مهبى

« يتبع »

(1) Hahaffy : Social Life in Gree, P. 21

(٢) الحماة ٨٢ - ٨٣ ، والآيات للشاعر عمرو بن معديكرب أحد فرسان الجاهلية
الفاويز ، اعتنق الاسلام وجاهد في صفوفه إبان حرب القرس

(٣) نزيد على ما ذكره نيكلسون ما رواه المبرد من أن معاوية سأل عرابية بن
أوس بن قبطي الأنصاري عما كان من شأنه حتى بلغ مرتبة الرياسة ، فقال :

« أعطيت في ثيبيهم ، وحملت عن سفهمهم ، وشددت على يدي حليمهم ، فن فعل
فعل فهو مثلي ، ومن قصر عنه فانا أفضل منه ، ومن تجاوزني فهو أفضل مني »

(الكامل ص ٧٥) وكذلك الفصل الأول من ترجمتنا لكتاب « تاريخ العرب
باسبانيا » لسوزي . (الترجم) (١) هو الفتوة الأودي (الترجم)

(٥) Delectus لذلك ص ٨ - ١٠

أما ثابت بن جابر بن سفيان فهو من قبيلة « فهم » ويسمى
تأبط شراً ، وسبب ذلك أن أمه أبصرته ذات يوم خارجاً من
الحبَاء إلى الحلاء متأبطاً سيفاً فسألها أحدهم « أين ثابت ؟ » فقالت :
« لست أدري ، لقد تأبط شراً وخرج » وهناك قول آخر بأنه قد
خرج في بعض أموره فالتقى بقول فشده عليه وجزأ رأسه ثم
حملة إلى بيته على هذه الحال ، فقليل له تأبط شراً . وإن الآيات ^(١)
التالية التي يصور بها خاله شمس بن مالك لكيفية بتصوير طبيعة
الشاعر ونفسه تماماً وهي انعكاس لعاداته :

قليلُ التَّشْكِي لِلْمُهْمِ يَصِيدُهُ

كثيرُ الهوى شتى التَّوَيِّ والمسالِك

يَظَلُّ بِعَوْنَةِ وَيَمْسِي بِغَيْرِهَا

جَحِيشاً وَيَعْرِوْزِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ

وَيَسْبِقُ وَقَدْ أَلْرِيحُ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي

بِمَنْخَرٍ مِنْ شِدَّةِ الْمَتَدَارِكِ

إِذَا حَاصَ عَلَيْهِ الْكِرَى التَّوَمُ لَمْ يَزَلْ

لَهُ كَالِي مِنْ قَلْبِ شَيْحَانِ فَاتَكَ

وَيَجْعَلُ عَيْنَهُ رِيثَةً قَلْبَهُ

إِلَى سَلَةِ مِنْ حَدٍّ أَخْلَقَ صَائِكَ

إِذَا هَزَّهَ فِي وَجْهِ قَرْنٍ تَهَلَّتْ

نَوَاجِدُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الضَّرَّاحِكِ

يَرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسَ الْأَنْسَ وَيَهْتَدِي

بِحَيْثُ أَهْدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَاتِكِ

وهذه الآيات السالفة تصف في دقة وتلم كل الإلمام بالفضائل
الأولية العربية من شجاعة وخشونة وبأس . وهنا نرى لزوماً
علينا أن ننقل بالقارىء إلى ناحية بعيدة بعض الشيء عن الناحية
الأدبية ، تلك هي الناحية الخلقية التي تعد من الأسس المهمة التي
قام عليها كيان المجتمع الوثني الذي ليس لدينا من مرجع عنه
سوى الشعر الجاهلي . لم يكن للعرب قانون مكتوب أو مرجع
ديني أو أي شيء من هذا القبيل ، بل كان هناك ثمة قوة أجل من

(١) الحماة ١١ - ١٢ وقد ترجمها إلى الانكليزية :

Sir Ch. Lyall : Anc. Ar. Poetry, P. 16

A. B. Davidson : Biblical Literary Essays, P. 263

الفن

الفن المصرى

العقيدة الدينية أصل الباعث على الفن

للدكتور احمد موسى

انظر إلى خريطة وادى النيل الطبيعية ، تجد أن مصر واد جيل منبسط ، لا تتخلله ارتفاعات ولا انخفاضات خصوصاً في المناطق المأهولة بالسكان ، أما الامطار فهي نادرة فيه ، فضلاً عن أن الشمس تسطع عليه طوال أيام السنة

وتفكير الناس وتكوين إحساسهم وليد البيئة التي يعيشون فيها . ولما كان الفن وليد دقة الإحساس وسمو التفكير ، وجب أن يكون الفن المصرى بسيطاً سهلاً ، نظراً لبساطة الخيال المصرى ولين شاعريته ، على عكس الخيال الاغريق مثلاً

وكان المصرى ولا يزال قليل الاستمتاع بجمال الطبيعة لندرة تغيرها ، على حين نرى الاغريق عظيم الإحساس بالجمال والاستمتاع به سريع التأثير بمظاهر الطبيعة المتقلبة ، كثير السعى والبحث وراء ما فيها من جمال وفن . كل هذا راجع إلى الاختلاف الطبيعى بين مصر وهى البلاد المنبسطة المكونة من قطعة واحدة غير منفصلة ، وبين اليونان وهى جزائر سواحليها كلها تضاريس ، فضلاً عن كثرة الارتفاعات والانخفاضات في سطحها

وقد أوضحت شيئاً يسيراً عن الفن المصرى قبل التاريخ ، وقلت إن الالتفات إلى الدين كان قبيل عهد الأسرات ، وأن هذا الالتفات نما وازداد حتى عصر مينا ، الذى وحد بين الوجهين البحرى والقبلى مكوناً مملكة واحدة

وإذا استطينا أن نفهم شيئاً عن تطور العقيدة الدينية ، فإنه يمكننا أن ندرك الفن المصرى إلى حد الاستمتاع

أنعم المصريون النظر في الموجودات والمرثيات ، وانجسوا بنظرم إلى السماء ، فتصور بعضهم أن القبة السماوية شئ أشبه ببقرة كبيرة رأسها متجه نحو الغرب ، وأن بلادهم بين أرجلها ، كما تخيلوا

أن النجوم لا تخرج عن كونها زينة تنحلي بها وتصور غيرهم أن السماء على هيئة امرأة انحنت متجهة يديها ورأسها نحو الغرب ، وبأرجلها نحو الشرق ، وأن النجوم حلي منشورة على بطنها وصدرها

وإذا فكرنا قليلاً نجد التشابه في الفكرة عظيماً ، ولا سيما وأن الذين تخيلوا السماء على هيئة بقرة ظنوا أن الشمس تولد (تشرق) على هيئة عجلة صغيرة ؛ وأما الآخرون الذين تخيلوها على شكل امرأة فقد ظنوا أنها تشرق على هيئة طفلة تسير من الشرق إلى الغرب ، فلا تلبس أن تصير عجوزاً عند غروبها

ظل الحال كذلك حتى اتصل أهل مصر العليا بأهل مصر السفلى وتم التعارف بينهم ، وتبادلوا التجارة وتغامروا في شؤون الحياة وفي شؤون الدين

وكانت نتيجة هذا التعارف والتغامر أن وجدنا أن هناك من رأوا الصقر يطير بسرعة ، فتخيلوا الشمس مثله ، تطير بجناحين من الشرق إلى الغرب . وكان أثر هذا الخيال عميقاً في الفن المصرى ، فترى الشمس قد رسمت بجناحين في مناسبات مختلفة

ولم ينه الأمر عند هذا الحد ، بل نظر المصرى إلى الماديات وأولها وادى النيل ، فتخيله رجلاً منبسطاً على الأرض ، ظهره إلى السماء وعليه نمت النباتات ، وطاش الانسان والحيوان مستمدين الحياة من الشمس . وظنوا أن الدينياتبدأ حيث بدأ النيل من ذلك المحيط اللانهائى جنوباً ، وتنتهى حيث يصب شمالاً

واعتقدوا أن هناك آلهة للماء وللأرض وللهواء ، وتوسعوا في تصوراتهم فجعلوا للحياة الها والنوت آخر ، وللسرور والحب غيرها وهكذا

وكانت عبادتهم للشمس قوية باعتبارها مصدر الحياة والنور ، فاختروا لها مدينة خاصة أسموها عين شمس (هليوبوليس) كما أسموا الشمس (رع) عند الشروق و (اتوم) عند الغروب . ونظراً لدقة ملاحظتهم للقمر وإعجابهم بانتظام سيره الزمنى ، جعلوا منه منظلاً لزرعهم واعتبروه الها للعلوم والآداب ، واتخذوا بلدة الأشمونين (قرية من المنيا) مقراً لعبادته

المتأهله ، إلى بناء المعابد والاهتمام بشأنها وتنميتها وزخرفتها . وكل هذا لا يخرج عن كونه الفن المصرى إجمالاً ، لأننا إذا ألقينا النظر على وادى النيل كله ، ونأملنا ما تركه المصريون قديماً ، لا نجد إلا أهراما ومعابد ومدافن ، وما بداخلها لا يخرج أيضاً عن متروكات ارتبطت بحياة الناس أو بموتهم

ويتلخص تاريخ الفن المصرى كدراسة خاصة ، فى التوسع فى وصف هذه الآثار ووضع قواعد لتأديجها وتطوراتها ورقبها وانحطاطها ، وعلاقة ذلك بالحياة الاجتماعية فى ذلك الحين ، مع الاستعانة بما وجد على الجدران والسقف من كتابات ونقوش وزخارف ، وما وجد من تماثيل وتحف ومحفوظات دلت بدرسها على ما وصلت إليه المدينة المصرية من مستوى يحملها وحيدة فريدة بذاتها بين أمم العالم

ولا اعتقاد المصريين فى عودة الحياة إلى الجسم بعد الموت (البعث) فضل عظيم فى إيجاد التقدير المائل نحو الموتى الذين تمتعوا أثناء حياتهم بمشاهدة مقابرهم التى سيدفنون بها بعد موتهم وفكرة شروق الشمس واعتقادهم بأنها تأتى معها بالحياة ، وفكرة غروبها واعتقادهم بأنها تذهب ومعها الحياة ، جعلتهم يدفنون موتاهم على الضفة الغربية للنيل فى معظم الأحيان ، ليمثلوا بذلك الموت فى أظهر همانه

وكانت هناك عقائد خاصة بحال الروح بعد الموت ؛ فن المصريين من اعتقد أنها تسكن عالماً آخر أسفل هذه الدنيا ؛ ومنهم من ظن أنها تتحول إلى طير يطير بعد مفارقة الجسم إلى قرص الشمس ليعيش بجواره

وحرصهم على جثث موتاهم التى تعود إليها الروح فى وقت ما ، جعلهم يمهرون فى فن التحنيط ، كما تفتتوا فى طريقة المحافظة على الموميات ، فتراهم دفنوها دفناً متنبهاً ، بعد وضعها فى تابوت من الخشب وضع فى تابوت آخر من الصوان أو الحجر الجيرى . وكانت مدافنهم على شكل الأهرام أو على شكل المصاطب أو فى جبانات عملت خصيصاً وكان الغرض من التحصين الحيلولة بين اللصوص وبين العبث بالجثث ، وبما دفنوه معها من أدوات وجواهر وتماثيل الخ .

واشتملت حوائط غرف الأهرام والمصاطب والمقابر على كتابات ونقوش ، كما اشتملت على رسومات تبين صاحب القبر يراقب الخدم أثناء اشتغالهم بخدمته والمحافظة على راحته بعد موته . وكانت العناية ببناء المقابر فائقة فى كل أجزائها التكوينية والشكلية ، وسهر نفر معين من الناس للمحافظة عليها نظير أجر معلوم حصلوا عليه من أصحابها

احمد موسى

ورمزوا للسماء بقرة رسموها فى معبد درندرة (بالقرب من قنا) وبقطة فى صالحجر (بالقرب من كفر الزيات) وبلبؤة فى منفيس (بالقرب من بدرشين)

وكانت مصوراتهم التى رمزوا بها للآلهة بسيطة فى أول الأمر ، مما يدل على بساطة معيشتهم فى ذلك الحين ، كما أن رسوماتهم لها لا تدل على أنهم أحبوا حيواناتهم حباً عظيماً جعلهم يصورون رؤوس هذه الآلهة بصورتك الحيوانات نفسها عند تدهور المدينة المصرية

وإذا دهشنا للعقيدة المصرية من ناحية العقيدة الدينية ، فأننا لا نندهش عند ما نجد الكهنة يتركونهم مسترسلين فى عقائدهم حتى بذلك يدوم لهم السلطان

وكانت هذه العقيدة ، رغمًا عن عدم انسجامها مع العقيدة المصرية خير دافع للفن المصرى بل وإلى الحضارة المصرية إجمالاً ، فكل ما وصل إليه المصريون من أبهة وعظمة كان عن طريق هذه العقيدة ، وكل ما تركوه من آثارها لا يخرج عما شيده للدين

فانشأوا المقابر والأهرام والمعابد ، كل هذا لم يكن إلا لرسوخ العقيدة الدينية فى أنفسهم . ولا يعنينا الآن وصف شئ من مقابرهم أو أهراماتهم ؛ أما معابدهم فكانت إجمالاً عبارة عن حوش محدود بحوائط تنتهى بصالة مستطيلة ذات أعمدة ، وعلى يمينها ويسارها غرف لحفظ الآثاث والأدوات والهدايا ، وضمن هذه الغرف مساكن الخدم وخصصوا غرفة وضعوا فى وسطها حجراً من الجرانيت المنحوت جيداً ، جعلوه قاعدة لتمثال المعبود الذى كان أحياناً من الخشب المطعم بالذهب والفضة والأحجار الكريمة ، وبارتفاع يتراوح بين نصف متر ومترين

وكانت احتفالاتهم الدينية فى أول الأمر بسيطة ، ولكنها أخذت شكلاً عظيماً بعد ، فبدأوا يقيمون حفلاتهم الدينية التى كانت تتخللها الموسيقى والغناء والرقص

وقام الكل بتموين هذه المعابد بالمال كل والمشرى ، ووصل بهم الحال إلى جعل الاشتراك فى هذه الاحتفالات إجبارياً ، فاشتريت البلاد من أقصاها إلى أدناها ، وقدموا هداياهم لإرضاء للعبود لئلا يولوا بذلك سعادة الدنيا والآخرة . وكان فرعون ، وهو الحاكم المطلق للبلاد يقوم علاوة على مهمته المدنية بمهمة الكاهن الأكبر ، وقد عين لنفسه نائباً فى كل معبد ، يقوم بتقديم القربان للعبود ؛ وبرئاسة المصلين الذين يدعون لفرعون بدوام الملك والآلهة . وكان من شأن الكاهن أن يقوم بالمحافظة على المعبد بمشتملاته ومراقبة حساباته من إيرادات ومصروفات

من كل هذا نرى أن الدين المصرى دفع المصريين فى إخلاصهم

من هنا ومن هناك

أونجين

لعل هذه التحفة النادرة هي أبداع مانظم بوشكين الشاعر الروسي طول حياته ، وقد بدأها سنة ١٨٢٣ وأتمها سنة ١٨٣١ . وهي خيال طريف لقصيدة بيرون يو Beppo وإن تكن في صدقها وروعة فنها خيراً من يو ومن كل مانظم بيرون على الإطلاق . ولنخص اليوم تحفته أونجين التي تبد كل ما كتب الأدباء الروس فنقول :

« بوجين أونجين أحد أبناء الطبقة المتوسطة من سكان بطرسبرج ، حسن البزة ، منسق الهندام ، غني أبوه بتريته تربية رفيعة ، وتوجيه في الحياة وجهة خاصة ، إذ وصله بالاستاذ لاييه فتفقه في الفرنسية حتى تفقها وأصبح يتكلمها كواحد من أهلها . وكان مشغولاً في ملبسه بالطراز الانجليزي من نسق لندن . وأجاد بضع رقصات كان أحبها إليه (المازوركا) - وكان متأقفاً في عبارته ، يخير اللفظة الرنانة ، ويصقل الحروف صقلا أرستقراطياً يزيد في فخامتها ، ويضاعف موسيقاها . وطالما كان ينثر في حديثه أبياتاً من الأنبيد (فرجيل) أو يستشهد بالحكمة اليونانية ، والمثل اللاتيني ، كأنما يريد أن يلفت السامع إلى تبحره في الأدب ، ورسوخ قدمه في التاريخ ، والمسامه بعلوم الاولين ... والآخرين ! وفي مشيته ، بل في طعامه ، بل في جلسته ، بل في الأيماء الصغيرة بطرفه ، كان يعمل عملاً ملحوظاً ، وكأنما أورثه عمله هذا رذيلة الاضطغان ، والتبرم بجميع المخلوقات ! ... وكان أبوه رجلاً متلافاً مبذراً ، لا يكتفي دخله المتوسط للمظهر المتفخ الذي كان يبدو به بين الناس ، وكان لذلك كثير الاستدانة قليل السداد ... يقيم في داره المراقص والمراقص ... وهو في إفلاس وضيق ليس وراءهما إفلاس وضيق . فلأمات خلف تركة ثقيلة من الديون الفادحة ، أتت على أخضره ويابسه

واشدت الضيق على أونجين فارتحل إلى عمه في الريف فوجد

قد انتقل إلى الآخرة هو الآخر . وثمة تعرف إلى شاب ألماني حدث ، واسع أفق الفكر ، متشعب المعرفة ، درس كانت وشيللر وهجل وأدباء الألمان ، حتى ما يكاد ينطق إلا بكلامهم ولا يفيض إلا عنهم . ويقدمه هذا الشاب (لنسكي) إلى عائلة مجاورة قوامها أرمل وابنتان ، صغراهما أولجا ، فتاة يافعة ممشوقة ساحرة اللغات ، رشيقة الحركات ، علقها لنسكي من كل قلبه ، وشغفه حبها حتى ما يفكر إلا فيها . والكبرى ، تاتيانا ، أقل جمالا من أولجا ، وإن تكن أرجح عقلا ، وأثبت جناناً ، وأكمل أنوثة . ترى أونجين فتحس بزائر جديد يحتل قلبها دون أن يستأذن ، وتشعر بانعطاف إليه يقرب أن يكون ولوعاً . وتكتب إليه بعد أن يكون التعارف قد اشتدت أواصره ، وتعرف له بما تحس نحوه في أعماقها ، في أسلوب صارخ ، وعبرة مجلوة متقاة ، وكلمات تكاد تتوهج وتلتهب . وليس في أشعار العالم شيء يشبه ما نظمه بوشكين في رسالة تاتيانا هذه ، بل ليس في فلسفة الحب صورة هي أروع ولا أصدق مما جاء في خطابها إلى أونجين . لقد كان قلبها يتكلم ويتضرم ، وكانت نفسها الملتاعة الوامقة تسيل دماً على شبة القلم . ولقد قرأنا درة شلى (أيبسكيديون) في الحب ، ولكننا لم نلس هذه الروح التي هبطت من وحى بوشكين في رسالة تاتيانا ، ولم نلح هذا القبس المقدس الذي أججه بوشكين العظيم في شعره العظيم ...

ويرد أونجين على هذه الرسالة العلوية بخطاب فائر بارد فيدعي فيه أنه لم يخاق للحب ، ولا يفكر في الزواج . وأنه غير جدير بها ، لأنه لم يشعر نحوها إلا بما يشعر به الأخ نحو أخته . وإنهم جميعاً لنى مرقص ، فتدعو أولجا الصديق أونجين إلى رقصة اختارتها ، فيهنض ملياً طلبها ، وما تنتهى الموسيقى إلا وقد جن جنون لنسكي من الغيرة ، فيهنض إلى أونجين ويبتهره ، ويتحداه تحدياً يهيج ، فتكون بينهما مبارزة هائلة يقتل فيها لنسكي - وتسود الدنيا في عيني أونجين ، فيرحل عن هذا البلد ويتنقل في أطراف البلاد . وتنقل الأرمل بابتها إلى العامة

وليس شك في أن (أندروماك) هي خير درامات راسين جميعاً. ولا نبالغ إذا قلنا إن أية درامة أخرى لم تجمع أشخاصاً ذوي عواطف شتى وأحاسيس متناقضة كما جمعت أندروماك. ولا نستطيع أن نعلل الأسباب التي إليها يرجع عدم نجاح هذه الدراماة العنيفة على المسرح المصري، إلا أنها قطعة كلاسيكية لم يعتدها الذوق المصري بعد. وهذا ما يؤسف له! وإذا كانت أندروماك قد جمعت كل هذه الشخصيات المتناقضة فبعكسها (فيدر) التي ازدحمت في قلب بطلتها متناقضات من عواطف غريبة ما برحت تتنقل وترتفع وتنخفض وتخبو وتشتعل حتى ختام المأساة. فقد أحببت فيدر ابن زوجها حباً شهنائياً اختلط بلحمها وخامر قلبها، ثم جعلت تلطف إليه، ثم أعلنت إليه أنها تحبه، وطفقت تراوده، ولكن الفتى أبي أن يخون أباه أو يغمس شرفه في الوحل، فتضرعت إليه، وانقلبت الضراعة فأصبحت مذلة وهواناً، فلما اشتط الفتى في تمنعه انقلبت المذلة فصارت حقداً وغيظاً، ثم اضطرم الغيظ فصار شراً تضمره فيدر ويمزق فؤادها... ثم اتهمت الفتى لدى أبيه أنه يراودها عن نفسها... فوقعت المأساة! فأنت ترى - إن كنت قد قرأت أندروماك أو شهدتها على المسرح - أن العواطف المتناقضة التي توزعت على أبطال أندروماك قد اكتظت كلها في نفس فيدر؛ وهذا عمل فني خالده لم يتح لكاتب مثل راسين.

كذلك قد قلد راسين الشاعر الكوميدي اليوناني أرسطوفان في ملهاته (Les Plaideurs) التي احتذى فيها الكوميدي اليونانية (الزناير ١) (The Wasp) والتي أضحكت لويس الرابع عشر حتى ذهب بوقاره المعروف عنه!

مع التنازلات

معهد التناسليات تأسس الدكتور ماجنوس لفيرشفلد في القاهرة بعمارة روفية رقم ٤٦ شارع المداينغ تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع الاضطرابات والاورام والتشوهات التناسلية والعقم عند الرجال والنساء ويحيد الشباب والشيوخ الميكروبيولوجيا العامة سرعة الهدف طبياً لا يهتد الطرق العلمية والعبادة من ١٠-١٠ سنة ٦-٦ .. ملاحظة: يمكن إعطاء نصائح بالمراسلة للمقيمين بعيداً عن القاهرة بعد أن يجيبوا على بمرسلة الأسئلة اليكبرلية المحترمة على ١٤١ سراً الذي يمكن الحصول عليه نظير ٥ قرش

حيث يفتن أحد أغنيائها بتاتيانا، فيخطبها إلى أمها، وسرعان ما يصبحان زوجين سعيدين

ويلتقي بها أونجين فجأة في إحدى حدائق بطرسبرج، فتثور في نفسه الذكريات القديمة، ويهيج به ميله الماضي، فيثبها حبه ولكن... ولكن... الفتاة تدمع قليلاً. ثم تصارح الفتى قائلة: «أونجين! لقد أحببتك من صميمي، ولكنك استكبرت ورفضت حي... وهأنذا الآن زوجة... وعلى واجبات... ولزوجي شرف، وله كرامة... وهو يحبه لي خير منك بعثك علي... أونجين... وداعاً!»

هذا ملخص مقتضب لهذه القصة الرائعة التي يخطئ مؤرخو الآداب فيقرنونها بدون جوان ليرون

في راسين (١٦٣٩ - ١٦٩٩)

يعتز الفرنسيون براسين اعتراز الانجليز يشا كسبير. ولكل من راسين وشا كسبير ميزة يفضل بها أخاه، فراسين يحكم العقل في العاطفة ويسخرها له وبعبكس شا كسبير الذي يجعل العاطفة مسيطرة على العقل سيطرة تامة ويترك لها القيادة فوق المسرح فتنتقل بالنظارة في آفاق شعرية جميلة صاخبة لوجود لها في عالم الحقيقة. ولا يدري أحد أيهما يفضل أخاه ولا يستطيع أحد أن يحكم لأحدهما على الآخر

والذي يلفت النظر في فن راسين أنه مشيد على دعائم يونانية من فن سوفوكليس ويوريبيدز في حين تفيض فيه روح مسيحية عليها طابع قوى من جماعة الـ (Jansenists) (أو الطهرين الفرنسيين) ثم يزين ذلك كله رواء من أبيه لويس الرابع عشر ونفامته.

ولكن يوريبيدز أقوى أثراً في راسين من كل شيء آخر. ولا غرو، فقد كان راسين يسير على درب الأديب اليوناني الكبير ويمشي على مناهجه فلا يحيد قيد أنملة، اللهم إلا فيما يجعل دراماته ملائمة لعصر لويس العظيم. ففي (أندروماك) و (إجنيا) و (فيدر) نلس روح يوريبيدز في الأديب الفرنسي ونكاد نعتقد المقارنة بينهما، وإن كان راسين قد لون فن أستاذه بمثل الألوان التي كانت رافائيل يضيفها على صور لداته فيخلقها خلقاً آخر.

البريد الأدبي

وثيقة فرعونية عن المعاملات الشخصية

اقتنى متحف شيكاغو أخيراً وثيقة مصرية قديمة يرجع عهدها إلى ما قبل الميلاد بنحو مائة عام، أغنى إلى أواخر عهد البطالسة تدل على أن المصريين القدماء كانوا يجرون في القروض الشخصية على قواعد وأوضاع اقتصادية صارمة. وإليك خلاصة ما نصت عليه الوثيقة المذكورة التي حل رموزها الدكتور ناتانيل ريش العلامة الأثرى، على لسان المقترض:

«أنا العبد انسنا كومنى التابع لمقبرة زيمى، قد اقترضت من المرأة نخوتسى ٢٢ره أردباً من القمح. وأتعهد برد هذا القرض مع أداء مثله بصفة ربح ليكون المجموع ٤٥ أردباً».

«وأن يكون الأداء من قمح حسن لا غش فيه، ويكافئ بنفس الكيل الذى استعمل في القرض، كما أتعهد بأن أحمل القمح المذكور إلى منزل المرأة نخوتسى متحملاً نفقات الإرسال، وذلك في آخر يوم من الشهر التاسع من السنة التاسعة دون طلب امتداد الميعاد، فإذا لم أستطع أن أدفع القمح في الميعاد المذكور فأتعهد بأن أدفع في الشهر التالى عن كل أردب ستين قطعة من الفضة

«ولا حق لى مادام هذا الإيصال فى يد نخوتسى أن أدعى الوفاء كله أو بعضه، هذا مع إقرارى بأن كل ما أملكه الآن أو أملكه فى المستقبل يكون رهناً لذمة نخوتسى حتى أؤدى الدين كاملاً، فإذا اضطرت نخوتسى إلى مقاضاتى من أجل الوفاء فأنى أتحمّل كل ما يترتب على ذلك من التعويضات، هذا مع اعترافى باتباع كل ما يأمر به وكيل نخوتسى فى كل وقت بلا معارضة ولا عمانعة».

نقول: فهل يستطيع رجل القانون المعاصر أن يكبل المدين لمصلحة الدائن بأوثق من هذه القيود؟

ذكرى بوشكين عميد الشعر الروسى

احتفلت حكومة جمهورية اتحاد السوفيت، وروسيا كلها، في اليوم الحادى عشر من فبراير بالذكرى المئوية لوفاة الشاعر بوشكين أعظم شعراء روسيا الحديثة، وأطلق اسم الشاعر بهذه المناسبة على متحف الفنون الجميلة فى موسكو، وعلى مسرح لنجراد كما أطلق اسمه على عدة من الشوارع الهامة فى العاصمتين، وأطلق أيضاً على مدينة «دسكيو زيلو» التى نشأ فيها الشاعر وتلقى تربيته. ويعتبر أسكندر سرجيفتش بوشكين فى الواقع شاعر روسيا القومى كما يعتبر شكسبير شاعر إنجلترا، وجيته شاعر ألمانيا. وكان مولد الشاعر سنة ١٧٩٩ فى موسكو، ولما انتهى من دراسته القانونية عين فى وظيفة بوزارة الخارجية، وفى سنة ١٨٢٢، ذهب إلى جنوب روسيا وزار القوقاز، وألهمته هذه الزيارة موضوع روايته الشعرية الشهيرة «سجين القوقاز»، ثم أخرج قصيدته الرائعة «ثناء نابليون»، وكتاباً شائقاً فى حياة النور. واتهم بوشكين فى تلك الآونة فى عدة مؤامرات سياسية، ولكنه استطاع أن يفلت من العقاب نظراً لمكانة أسرته. وفى سنة ١٨٢٤ استقال من وظيفته لخلاف بينه وبين رؤسائه وتفرغ للكتابة والنظم، وأخرج فى العام التالى مأساته الشهيرة «بوريس جودونوف» وهى القطعة الخالدة التى حررت المسرح الروسى من نفوذ المسرح الفرنسى، ودفعت التأليف المسرحى فى روسيا إلى وجهة قومية جديدة، وفى سنة ١٨٢٨، ظهرت «بولتاوا» وهى قصة شعرية عن أيام بطرس الأكبر، ثم وصف شائق لرحلته الثانية فى القوقاز، وعاد بوشكين إلى سلك الوظائف سنة ١٨٣١، وكتب تاريخاً للثورة القوقازية التى وقعت يومئذ، ثم أخرج بعد ذلك قصته الرائعة «ابنة الكتبتين»، ثم قصيدة «أوجين أونجين»، وهى فى نظر النقد أبداع ما نظم. وهى مزيج من الفكاهة والتهكم والقصص، يبدو فيها أثر اللورد بيرون واضحاً

بها تاريخ الأزهر يجب ألا تمثل فيه ، وكانت هذه التليحات والطلبات داعية دهشة أعضاء اللجنة ، المدنيين ، ولا سيما المتخصصين منهم في التاريخ ، وقد علقوا عليها بأكثر من مرة بأنه يجب إذا أريد أن يوضع تاريخ ألقى للأزهر فيجب أن يكون تاريخاً بالمعنى الصحيح ، وعلى هذا سارت اللجنة الفرعية في عملها وثمة حقيقة أخرى كانت موضع النضال ، وهي أنه ظهر خلال المناقشة أن المشيخة تريد أن تنتفع بمجهود العلماء المتخصصين في التاريخ ، لينسب المؤلف فيما بعد في مجموعته إلى « مشيخة الأزهر » ؛ ولكن هذه النقطة كانت موضع الاعتراض الشديد إذ أصر الأعضاء المدنيون على أن ينسب كل فصل إلى صاحبه على طريقة المؤلفات العلمية الأخرى

هذه بعض حقائق عن لجنة التاريخ الألفى للأزهر تجدر إذاعتها ؛ وإذا كان لنا أن نعلق على هذا الموضوع بشيء ، فهو أن تأليف اللجان الحاشدة ليس وسيلة عملية لكتابة التاريخ ، وأن كتابة التاريخ الصحيح قد أصبحت في عصرنا علماً حقيقياً لا يستطيع أن يضطلع به إلا المتخصصون فيه هذا وإنا لنأمل أن يكون لمشيخة الأزهر في عهدها الجديد في هذا الموضوع نظرة أوسع آفاقاً ، وأوفر سداداً وتوفيقاً

الذكرى السنوية الأولى للزهاوي

ستقيم وزارة المعارف العراقية حفلة تأيينية للشاعر الفيلسوف جميل صدق الزهاوي ببغداد يوم الجمعة ١٢ مارس سنة ١٩٣٧ ، دعت إليها نفرًا من كبار الأدباء في البلاد العربية ، ثم أرسلت لجنة التأيين إلى جمهرة أخرى من الكتاب هذا الكتاب : وبعد فاني أشرف بأخباركم بأن حفلة تأيينية كبرى ستقام في بغداد يوم الجمعة المصادف ١٢ مارس ١٩٣٧ إحياء للذكرى السنوية الأولى لوفاة شاعر العرب الكبير الفيلسوف الحكيم السيد جميل صدق الزهاوي الذي خدم الأدب العربي مدة نصف قرن ولما كنا نعتقد بأن حضرتمكم ترغبون في الاشتراك في رثاء الفقيه الطيب الذكر نرجو أن تسكروا بما تجود به قريحكم في هذا الشأن ليتل في الحفلة التأيينية أو يثبت في الكتاب المزمع نشره تخليداً للذكرى الراحل الكبير . . .

تأيين الزهاوي في وزارة المعارف ببغداد

جلياً ، وهو أثر يبدو في كثير من قصائد پوشكين الأخيرة . وفي فبراير سنة ١٨٣٧ وقعت بين پوشكين وبين البارون دايفس الذي اقترن بأخت زوجته تاتاليا جورشاروف مبارزة جرح فيها پوشكين جرحاً أودى بحياته ، وبذلك انتهت حياته القصيرة الباهرة .

مول التاريخ الألفى للأزهر

كتب كاتب في جريدة الجهاد الغراء مقالا يستعرض فيه قصة اللجنة التي أنشئت منذ ثلاثة أعوام لكتابة تاريخ شامل للجامع الأزهر لمناسبة عيده الألفي الذي تقرر الاحتفال به عند حلوله في أوائل سنة ١٣٥٩ هـ ؛ وذكر الكاتب أن اللجنة المذكورة قد عقدت بضعة اجتماعات ، وأن لجنة فرعية من بعض الأعضاء ألفت لوضع برنامج لتاريخ الأزهر ، ثم لم يسمع بعد ذلك شيء عن اللجنة ولا عن أعمالها

وما ذكره الكاتب عن اللجنة صحيح في مجموعه ، يد أن هنالك بعض حقائق غابت عنه ولا بأس من ذكرها بهذه المناسبة ، ذلك أن إنشاء هذه اللجنة كان نتيجة للقرار الذي اتخذته مشيخة الأزهر في عهد شيخه السالف بالاحتفال بالعيد الألفي للأزهر ؛ فلما تغيرت المشيخة بعد ذلك بقليل ، رأى فضيلة الشيخ الحالي أن يرجي جميع الأعمال الخاصة بالعيد الألفي لأنه في رأيه لا يزال ثمة فسحة كبيرة من الأجل ، وبذا تعطل عمل اللجنة دون حلها ، هذا في حين أن اللجنة كانت قد قطعت بالفعل مرحلة تذكر في سبيل انجاز برنامجها ، وكانت اللجنة الفرعية التي ألفت لوضع برنامج العصر الفاطمي قد وافقت على البرنامج الذي وضعه أحد أعضائها الأستاذ محمد عبد الله عنان ، ووزعت موادها بالفعل على بعض أعضاء اللجنة العامة ، وأنجز بعض الأعضاء ماعهد إليهم بكتابته وفي مقدمتهم الدكتور حسن إبراهيم حسن ، والأستاذ عنان ، ثم وقعت اجتماعات اللجنة واجتماعاتها عند هذا الحد

وقد ظهرت أثناء مباحث اللجنة ومناقشتها حقائق تلفت النظر ؛ من ذلك أن أقطاب المشيخة قد لمحوا أكثر من مرة إلى أن التاريخ المراد وضعه للأزهر يجب أن يكون في مجموعه وفي روحه نوعاً من التاريخ الرسمي ، وأنه يراد أن يخص منه عصور معينة دون غيرها ، وأن العناصر السياسية أو المذهبية التي يحفل



المتنبى مع طه حسين

للدكتور محمد عوض محمد

أقول إن هذا ما يرغمه الزاعمون . وقد يكون هذا ما يزعم طه حسين نفسه إذا سأله عن سبب إعراضه الطويل . ولكن الحقيقة أعمق ➔ وأبعد غوراً من هذا كله : وقد خفيت حتى على المؤلف نفسه . ذلك أن طه حسين كان يحس - إحساساً مبعثه الإلهام الذى لا حول له فيه ولا قوة - أن شعر المتنبى متعة هائلة أولى به أن يدخرها ، وأن يؤجل التمتع بها كما يترك المرء أطيب الثمار إلى آخر الوجبة ، بادئاً بالفج الثقليل منها . قال لى بعض الناس مرة : هل رأيت إيقوسيا ؟ قلت : لا ! قال فأتى أحسبك على هذا أشد الحسد . إني لأعطي كل ما عندى لكى أرى إيقوسيا للمرة الأولى !

ومن هذا الجامد البخيل الذى لا يعطى كل ما عنده لكى يدرس شعر المتنبى للمرة الأولى ؟

➔ ذلك هو السبب الحقيقى لهذا الاعراض الطويل ؛ وكان لا بد لصاحبه إذا سأله لماذا لا تعنى بدراسة المتنبى أن يجيبك بأعذار ينتحلها انتحالاً ، وإذا هو يصطنع خصومة بينه وبينه ، وقد ينتهى به الأمر إلى تصديق هذه الأعذار والإيمان بأن تلك الخصومة المفتعلة تقوم على أساس أو شبه أساس .

إلى أن جاء الوقت ، واستطاع المتنبى أن يرغم طه حسين على أن يسهر مع الساهرين من أجل شوارد شعره التى كان ينام عنها هو ملء جفنه . وأن يكب على دراسة المتنبى انكباباً عجيباً ، وأن يقيم للمتنبى أسبوعاً كان من أجل وأروع أسابيع الجامعة المصرية ، وأن يصطحب المتنبى معه إلى أوروبا ، وأن ينزله معه فى الباقرة وفى القاطرات وفى مختلف الفنادق والديار !

وهكذا اضطر طه حسين إلى أن يرى نفسه - على كره منه كما يقول - منصرفاً إلى دراسة المتنبى ، وأن يبادر إلى المتعة التى أذخرها لنفسه هذا الدهر الطويل ، وأن يسلط على هذه الدراسة ما وهبه الله من ذكاء خصب ، وإطلاع واسع ، وملاحظة دقيقة ، وقدرة على استنباط الحقائق من أبسط المعلومات التى يمر بها الناس مرادون أن يروها . ثم استطاع بعد ذلك أن يصور لنا المتنبى ، فإذا نحن نحسه وإذا نحن نلسه ، وإذا نحن نراه ماثلاً أمامنا ، وإذا نحن نسير وإياه جنباً إلى جنب ، وإذا شخصية المتنبى تبرز لنا من وسط هذه الصفحات بروزا غير محاط بلبس ولا إبهام

وطه حسين الذى أبدع هذه الصورة يقول لنا مع إنه ليس من

إن الذين يطالعون الكتاب الذى بين أيدينا على أنه كتاب لطف حسين فى المتنبى سيخطئون القصد ويفوتون على أنفسهم اللذة الحقيقية والمتعة العظيمة التى يستطيعون أن ينالوها من مطالعة هذا الكتاب على الوجه الصحيح : أى على أنه كتاب أدبى أو قصة أدبية شائقة لها بطلان المتنبى وطه حسين معاً . فليس الكتاب بحثاً تاريخياً جافاً ، أو نقداً موضوعياً ، بل قصة متممة تشترك فيها شخصية المؤلف الأديب وشخصية المتنبى المدهشة ... ولهذا يحمل بنا أن ندعو الكتاب طه حسين مع المتنبى ، أو المتنبى مع طه حسين ؛ كما ينادون فى بعض المطاعم على الأصناف اللذيذة بأن يقولوا فراخ مع الأرز ، أو كوارع مع الفتنة ... فالكتاب الذى نحن فى حديثه الآن اسمه الصحيح إذن هو المتنبى مع طه حسين

والمتنبى مع طه حسين مظلوم ! .. فقد كان طه حسين معرضاً عنه إعراضاً تاماً ؛ وظل معرضاً عنه زمناً كدنا ألا نعرف له آخراً .. وقد قرر طه حسين أن يعرض عن المتنبى كل هذا الاعراض ، منذ أن كان يطلب العلم فى الأزهر الشريف . ثم لم يزل معرضاً عنه ممعناً فى الاعراض . لا يسمع لصوته القوى ، ولا يستجيب لندائه العذب . وهو يستعين على هذا الاعراض بضروب من الوسائل ؛ فجعل يضع القطن الغليظ فى أذنيه ، ويقم الحجب والجدران بينه وبينه ، ويقول له : ابعد عني ! لا أريد أن أصغى إليك ...

وهكذا ظل المتنبى يهيب بالأديب الكبير ، والأديب الكبير ليس له - كما تقول العامة - سوى أذن من ظن وأذن من عجين ولكن لم كل هذا الاعراض ، أو التجنى ، أو التمتع ؟ سيقول لك خلطاؤه الذين لا ينظرون إلا إلى ظاهر الأمور إن إعراض طه حسين يرجع إلى الخصومات التى تنشأ بين الطلبة ، وتذهب بهم فى التشيع الأديب مذاهب مدهشة ، فكان يكنى أن ينادى زيد بأن الطائى شاعر كبير ، لكى يخاصمه فى ذلك عمرو ويكر وخالد ؛ وكان يكنى أن يشتد إعجاب بكر بشعر المتنبى ويسرف فى مدحه ، حتى يتألف عليه الآخرون ، ويقاطعوا المتنبى المسكين من غير جريرة ولا ذنب

مضى ، فجازاه المتنبي على إعراضه بأن أعرض عنه يوم أضحي شاعرا مشهوراً .

هذا كله لا يمكن أن يذكر للمتنبي إلا بالخير . فانظر كيف يصور لنا المؤلف هذا الحادث : « فلا تسل عن كبرياء الشاعر وما امتلأت به نفسه من الزهو والغرور ، وإذا هو يتمتع على الأمير ويأبى أن يجيبه إلى المدح الذي رغبه فيه ، ويحتال الأمير في ذلك فلا يوفق . وتشتق عليه هذه الالهاته فيمسك الشاعر في طرابلس ، ولا يخلى بينه وبين السفر ، وإنما يمسكه سجيناً كالطليق ، وطيلاً كالسجين ، والمنطق السليم يقضى بأن مسلك أبي الطيب هذا ينطوى على كثير من العزة والشتم . ولا يدل مطلقاً على أنه يطلب العاجلة ، فينكر نفسه . ولا بد للنصف أن يرى أن عبارة المؤلف في وصف ذلك الحادث قاصرة لم يملأ الانصاف ، بل إن للحزازات القديمة أثراً فيها وفي حياة أبي الطيب أمثلة من الوفاء والاخلاص ، استطاع المؤلف أن يحورها إلى أمثلة من التزلف والخوف . انظر مثلاً إلى الحادث الشهير يوم أن غضب أبو العشائر على أبي الطيب وأرسل غلبانه وراه فرماه أحدهم بسهم وقال خذهُ وأنا غلام أبي العشائر . فأنشد أبو الطيب هذه الآيات العجيبة الساحرة :

ومنتسب عندي إلى من أحبه وللبل حولي من يديه حفيف
فهيج من شرق وما من مذلة . حنت ولكن الكريم ألوف
وكل وداد لا يدوم على الأذى دوام ودادي للحسين ضعيف
فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفضاله اللائي سررت ألوف
ونفسي له . - نفسي الفداء لنفسه ، ولكن بعض المالكين عنيف
فإن كان ينبغي قتلها بك قاتلاً بكفيه فالقتل الشريف شريف
وليس هنا مجال لسرد الحادث كله ، ولكن العجيب أن سرد المؤلف له يضع الذنب كله على المتنبي ، لأنه أهمل مدح أبي العشائر وكأنه يلتمس العذر لهذا الرجل في غدره بأبي الطيب

لقد قرر المؤلف في نوبة من نوبات الظلم التي كانت تعاوده وهو يعلى أكتابه هذا : أن المتنبي « عبد للطمع والمال ، لا للجمال والفن . » ولم يجد من الحوادث والأشعار مساعداً له على تأييد هذا الرأي ، فاضطر إلى أن يصنع الحوادث بالصيغة التي تتفق مع هذا الظلم ، وأن يلتمس للشعر الخالص البريء أسباباً غير خالصة ولا بريئة وقد وجد الأستاذ المؤلف نفسه في مأزق حرج أمام قصيد

المعجبين بالمتنبي ، المشغوفين بشخصه وفنه ، ولكنه لحسن الحظ لا يطلب منا أن نصدق كلامه هذا بل يقول لنا إننا نحيرون في أن نرى أن هذا الكلام يصدر عن تفكير أو هذيان أو شذوذ وجوح (ص ٧٠) . وأنا أفضل الرأي الأخير . . ومن الممكن للصور البارعة الذي أبدع الصورة وجلالها للناظرين أن يزعم أنه لا يجب صاحب هذه الصورة ولكنه لم يجد بين الناس من يصدقه

ليقل طه حسين إذن في علاقته الشخصية بالمتنبي ما يشاء . فإن القراء قد ظفروا منه على كل حال بكتاب متملى حياة وقوة . ليس المتنبي فيه اسماً يذكر وأشعاراً تتلى وجدالاً يسرد ، بل شخصاً حياً يسعى ويعمل ، ويحس ويشعر ، ونحن نشاركه كل هذه الحياة . واستطعنا بسبب هذا كله أن نزداد حباً للمتنبي وعطفاً عليه . وهى نتيجة لم يكن المؤلف يريدنا أن يفكر فيها . كذلك استطعنا أن نعجب بالمؤلف حين ينصف المتنبي ، ويبرز الحق من أركان هذه الحياة الثائرة العجيبة . واستطعنا أيضاً أن ننظر شزراً حين نرى المؤلف يحمل على المتنبي حملات أقل ما يقال عنها إنها لا تتفق مع ما يذكره المؤلف نفسه عن المتنبي حين يتناسى ما بينهما من الحزازات القديمة

ليس من الممكن هنا أن نعدد محاسن هذا الكتاب الذى قلنا خدم شاعر في العرية كما خدم به أبو الطيب . وسيرى القارى من غير مشقة كيف استطاع المؤلف أن يزيد لذتنا وامتعتنا بأشعار المتنبي أصعافاً مضاعفة . قصيدة مثل « وفؤاد كما كالربع أشجاء طامسه » ونحوها . أصبحت بعد أن صورت لنا حياة المتنبي والظروف المعقدة التى أنشدت فيها تلك القصائد . نرى فيها حياة وقوة وعمقاً لم نكن نحس له وجوداً

ومع هذا - وبعد هذا كله - فالمتنبي مع طه حسين مظلوم . لأن طه حسين لم يستطع دائماً أن ينسى ما بينه وبين المتنبي من خصام ، بل يذكر هذا الخصام أحياناً فيعود إلى ظلم المتنبي ، ويعمن في التشنيع عليه . أنظر إليه حين يريد أن يوهنا بأن المتنبي مداح كسائر المداحين وأنه ينكر نفسه كلما اقتضت منه المنفعة العاجلة إنكارها . ويريد منا أن نصدق هذا ، وهو نفسه الذى يربنا في صراحة وجلال كيف أعرض المتنبي عن مدح اسحق بن كفلغ ولم يعأ بهديده ووعيده . مع أن المنفعة العاجلة كانت تقضى من غير شك بإنكار النفس وبذل المدح ونحن نرى المتنبي لا يكتفى بهذا بل يهجو هجاء مرأ ، ذلك لأن المتنبي كان غاضباً من هذا الرجل الذى أبى أن يقبل منه المدح فيما

والمواقف الظالمة التي وقفها المؤلف من الشاعر هي من الواضح والظهور بحيث لن يخطئها القارىء ؛ ونحن لانشك في أنها البقية الباقية من أيام العهد القديم حين كان بعضنا يتعصب للثنى وبعضنا يتعصب عليه ، وكان طه حسين دائماً من الفريق الثانى . .

ولكننا برغم هذا التحامل - بل لسبب هذا التحامل - مسجود في مطالعة هذه الفصول متعة شائقة ، بحيث لا يمكن أن نتناول الكتاب ثم نلقيه قبل أن نفرغ منه

يجب أن نطالع هذا الكتاب لا على أنه تاريخ أو نقد ، بل على أنه قطعة أدبية فنية ، تمثل صورة وتقصى قصة . ولك أن تطالعها إذا شئت على أنه كتاب لطه حسين عن المتنبي . ولكنك بهذا ستضيع على نفسك لذة عظيمة ومتعة فائقة . فالوجه الصحيح للتمتع بهذا الكتاب هو أن تقرأه على حقيقته التي كشفت لك عنها في أول هذا المقال . فالموضوع الصحيح هو المتنبي مع طه حسين . أو إذا شئت اسطلاحاً - حساييا قتل : المتنبي مضروباً في طه حسين ، فالكتاب هو حاصل هذا الضرب

وهذا الاعتبار أو ذاك مسجود في مطالعة الكتاب لذة جديدة لم تكن تحتاج لك من قبل : ولو كان في هذا الزمان إنصاف لشكرنى الناس على الكشف الذى كشفت والهدى الذى هديت . ولكننا في زمن كما يقول صاحبنا :

إنا لنى زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال

والآن فبالإصالة عن نفسى وبالنيابة عن عشاق المتنبي أسجل هنا ما أحرزناه من النصر بانضمام عدو عنيد إلى صفوفنا ؟

محمد عوض محمد

مرض البول السكرى

نصيحة من مريض (الله تعالى) إلى المرضى

مرضت بالبول السكرى والتجأت إلى كل الطرق لم أستفد سوى استفادة مؤنة تزول بزوال العلاج إلى أن وفقني الله تعالى إلى بعض أنواع جذور النباتات لم أجدها إلا بمجلة وطارة محمد طاهر الصاوى بوكالة أبو زبير بالخراسان بمصر لم يفرق ٥٢٥٢٠ ولم يكلفنى ثمن سوى مبلغ عشرة قروش صاغ . وباستعماله مرة أربعة أسابيع كانت النتيجة مرضت مبداً . . . فقد ظهر منه نتيجة التحليل أن البول طبيعى بعد أن كان يفسد ٥٥ في المائات

لذلك أخذت على نفسى عهداً أن أنصح بها المرضى وأعتقد أن المحل المذكور لا يتأخر عن إرساله لكل مريض فمرة بعد ثانية متى أرسل إليه قيمة الثمن المذكور أحمد كـ ٢٠

المتنى الشهيرة . واحر قلبه عن قلبه شيم ، فقد رأى المؤلف أنها قصيدة لا يمكن أن تصدر عن رجل خلقه الأساسى أنه عبد للطمع والمال لا للجمال والفن . فإذا يفعل بهذه القصيدة التي إن دلت على شيء فانها تدل على أن المتنبي رجل خلقه الأساسى الشمم والآباء . لم يكن للمؤلف بد من أن يمر بهذه القصيدة مرأ ، وأن يختصر الكلام عنها ، وعن الحادث الذى تدل عليه اختصاراً . وأن يعتذر عن ذلك بأن الناس قالوا فيها فأكثر . . أما ما اشتملت عليه القصيدة من الفن الهائل فانه لا يظفر من المؤلف إلا بالعبارة الآتية : نلاحظ مسرعين أن المتنبي قد وفق فيها إلى حظ لا بأس به (كذا) من الاجادة الفنية . . سلك طريق ابن الرومى فألح في العتاب حتى كاد يبلغ الهجاء . وأسرف في المدح ليصلح ما أفسده بالعتاب .

هذا كل مايقوله عن هذه القصيدة هذا المؤلف العجيب الذى يخصص ست صفحات من كتابه لقصيدة وكفرندى فرند سيفى الجراز ، ونحن نلاحظ هنا أمراً مدهشاً قد ساق المؤلف إليه إصراره على تجاهل هذه القصيدة . .

ولنر أولاً - مر الكرام ، على قوله إن بها حظاً لا بأس به من الاجادة الفنية ، ولكننا نقف قليلاً عند قوله إن المتنبي أسرف في المدح ليصلح ما أفسده بالعتاب ،

إن أقل إلمام بهذه القصيدة يربنا أن ما اشتملت عليه من المدح ليس من النوع الذى يوصف بالاسراف . ومهما يكن من شيء فإن هذا المدح مقدم في أول القصيدة ، لا لإصلاح ما أفسده العتاب ، بل توطئة للعتاب القاسى والألم المر ؛ والقصيدة تزداد شدة وعنف كلما اقتربنا من النهاية ؛ حتى تنتهى فعلاً بتهديد سيف الدولة بالانصراف عنه والرحيل من دياره

وهذه القصيدة تدل على براعة فنية هائلة ، وعلى خلق متين وعز . ولذلك لاتتفق مع الدعوى بأن المتنبي عبد للطمع والمال ، ذليل لذلك والسلطان ، ولذلك تجاهلها المؤلف ومر بها مرأ سريعاً . . .

وبعد فليست في حاجة لأن أدلى بأمثلة أخرى يظهر فيها ما بين المؤلف والمتنبي من خصومة قديمة . . فقها ذكرناه كفاية لأن يرى القارىء أن المتنبي مع طه حسين مظلوم . ولكن من العدل أن نقرر أن طه حسين كثيراً ما كان يفسى هذه الخصومة . والكتاب يمتلى بقطع عديدة ، استطاع المتنبي أن يثار بها لنفسه ، وأن ينال من المؤلف كل انصاف وتقدير بالرغم منه

العالم المسرحي والسينماي

على مسرح الأوبرا

موسم الدراما الانجليزي

Dublin Gate Theatre Productions

لناقد ، الرسالة ، الفن

عندما مثل هملت وروميو في روايتي شكسبير وكذلك المستر هلتن ادواردز الذي أبدى مهارة فائقة في أداء دور الملك في رواية هملت والكابتن شاتوفا في رواية «بيت القلوب المحطمة» لبرناردشو . وقد ضمت الفرقة إلى مجموعتها السابقة مثلاً كبيراً هو المستر «آنيوماك ماستر» الذي يزور مصر للمرة الأولى وقد اشتغل في أكبر مسارح الوست اند بلندن وقام بتمثيل كثير من الأدوار الرئيسية منها عطيل في رواية شكسبير

هذا وستمثل الفرقة مجموعة طيبة من الروايات التمثيلية لا كبر الكتاب الارلنديين والانجليز والاطالين منها : «مدرسة النجمة» لشريدان ، «اهمية اتحال اسم ارنست» لاوسكار وايلد «صورة في الرخام» لهازل إليس ، «عطيل» ، «الليلة الثانية عشرة» لشكسبير ، «لابورنم جروف» لبريستلي ، «ملاك الموت في أجازة» لابرتوكاسلي وغيرها .

ملاك الموت في إجازة Death Takes a Holiday

هي مهزلة خرافية ألّفها الكاتب الايطالي البرتوكاسلي ، ونقلها إلى الانجليزية والتر فريس ، فكرته عجيبه وطريقة حبيت رجال السينما إلى إخراجها على الشريط وقد عرضت في موسم القاهرة الماضي . لاحظ ملاك الموت أن الناس يخشونه ويفزعون منه فأراد أن يعرف سر هذا الفرع وسر بغض الناس له وأن يدرك بنفسه ما يجب الناس في الحياة والخلود .

نزل إلى الأرض كظل أو طيف يرى ، وبينما هو يطوف إذ يشاهد قصراً للدوق «لامبرتو» عامراً بالضيوف فيمر بالحديقة ويلتقي بفتاة جميلة تدعى «جرازيا» من اللواتي يعشقن الخيال والجمال والشعر فتفزع منه

ويظهر الموت لرب الأسرة ويفصح له عن حقيقته وأنه سوف يتجسد في صورة إنسان ويأتي إلى القصر باسم الأمير «ساركي» حتى يستطيع في معاشرته للضيوف أن يلبس السر الذي أتعبه وأقلقته كثيراً ويطلب إلى الدوق أن يكتم السر خلال أيام ثلاثة يقضيها بينهم عاطلاً لا يموت فيها إنسان ولا تسقط ورقة من شجرة أو تذبل زهرة . اختلط الأمير ساركي بين الضيوف فأحسوا بشيء من التغيير

كان للظفر الفني البديع الذي ظهرت فيه فرقة «دبلنجيت» الارلندية في العام الماضي ما جعل وزارة المعارف العمومية تستقدمها في هذا العام أيضاً لتحكي موسم الدراما الانجليزي على مسرح الأوبرا الملكي

ويذكر قراء الرسالة أنه سبق لنا الحديث عن هذه الفرقة وعن مقدرة مخرجها المستر «هلتن ادواردز» الذي يعتمد في إخراج رواياته إلى الطريقة الايمائية إذ يراها وسيلة لاشغال بال رواد المسرح وتفكيرهم فيكونون بذلك عنصراً من عناصر الرواية والتمثيل . وعنده أن من يقصد المسرح يجب أن يجلس منتبه الحواس لكل كلمة وكل حركة أو إشارة تبدو من الممثلين في حين أن من يقصد السينما يجلس في مكانه هادئ البال مرتاح الفكر يرى الأشياء تعرض أمامه عرضاً سهلاً لا يكلفه عناء لأن المدير الفني يجعل عدسة التصوير تحصر أمامه ما يريد أن يوجه الأنظار إليه . وليس من شك في أن طلبة البكالوريا هذا العام سيقصدون دار الأوبرا لمشاهدة رواية «لابورنم جروف» المقررة عليهم

فارجو أن يتنبهوا إلى طريقة المخرج وفكرته في الإخراج : من استعمال المنظر الواحد لتمثيل مشاهد ومناظر متعددة مستعينا بالاضاءة وبالنظارة في تخيل المنظر المتجدد وما إلى هذا من الطرق التي لم يألفوها في المسرح المصري ؛ فعليهم ألا يضيقوا بما يرون وأن يحاولوا ادراك مرأى هذا المخرج وأن يتبعوا الممثلين فيستمعوا بالقصة والتمثيل

ومثلو الفرقة ليسوا في حاجة إلى أن أتحدث عنهم ، فهم على جانب عظيم من النبوغ والمقدرة لاسيما الممثل الأول المستر ميكائيل مالك ليور الذي نال إعجاب النقاد ورواد المسرح في العام الماضي

عطيل Otello

هي تراجيدية شكسبير المشهورة التي نقلها إلى العربية الأستاذ خليل مطران ومثل عطيل الأستاذ جورج ايض ومثل ياجو امامه عدد من كبار الممثلين منهم منسى فهمى وزكى طليمات ويوسف وهبي والرواية تصور لنا كيف أحب البطل المغربي ، عطيل ، الفتاة النبيلة « ديدمونه » وكيف استطاع ياجو أن يدوى في أذني عطيل بأن امرأته تخونه ويحكى خطة جهنمية تساعد على الوصول إلى أغراضه فيثور المغربي ويصرخ ويصل في ثورته إلى حد الجنون والقتل

يقتل ديدمونه التي أحبها والتي أحبه وفضلته على كل النبله من أهل جنسها وتزوجت منه برغم والدها ، وأخيرا وبعد فوات الفرصة يعرف أنها كانت بريئة فيقطعن ياجو ويغمد خنجره في صدره ويجود بأنفاسه على قبة من فم من أحبها ، عمد المخرج إلى طريقته المعروفة في الاعتماد على المنظر الواحد مستعيناً بالاضاءة بين فصل وآخر ، وكان موقفاً إذ اختار ستارا خلفياً يمثل السماء كان له أثر كبير في توضيح حركات الممثلين كلما كان الضوء خافتاً في مقدمة المسرح .

مثل المستر آنيو ماك

ماستر دور عطيل فأعطى صورة قوية لهذه الشخصية . كان متطرفاً في البدء كمادة الحب ولكنه انقلب في الفصل الثاني الى رجل هائل ثائر .

كان بديعاً في لقائه وفي حركاته التي تعبر عما يضطرم في نفسه عند كل كلمة يلفظها ياجو ، وكان عظيم في ثورته في الفصل الثاني وفي الفصل

الممثل الارلندي « آنيو ماك ماستر » في عطيل ولكنه خالف ملاه

الآخر بعد ما قتل ديدمونه وأحسن أنه فقدتها .

ومثل المستر ادوارد دور ياجو فأعطى صورة طبيعية من الشخصية ولم يلجأ إلى المغالاة ، وكانت الممثلة « آن كلارك » بديعة في دور ديدمونه

يوسف تادرس

في حياتهم ، فهذا شيخ عجوز أحسن بدم الشباب يجري في عروقه وعادله النشاط والمرح وتذكر الحب ، وهذه فتاة تحب الأمير وتختلي به ، فلما يحدق فيها وتحدق فيه ترى في عينيه عمقا يفزعها وتكاد تلبس سره فتصرخ خائفة ، فيقول لها إنها لم تحبه وأن كل ما تحس به هي عاطفة الساعة ، وأحب ملاك الموت ، جرازيا الصغيرة ، وأحبه هي ورأى أنها تختلف عن الفتاة الأخرى تماماً . ولما أخبرها أنه سيرحل

بعيدا عن هذه البلاد طلبت إليه أن يأخذها معه ، فلما بين لها صعوبة ذلك عليه وعليها قالت له إن الحياة بدون الحب لا تساوي شيئا .

ويعرف رب القصر بحبهما ويضطر أن يصرح لضيفه بالسر الرهيب فيتبدل مظهرهم ويفزعون ، وهذا الشيخ المرح قد



الممثلة شيلاماي تطلب إلى ملك الموت . ميكائيل ، ماك ليومر أن يأخذها .

عادت إليه الكتابة وثقل السنين ، وهذه الزهور تذبل ، ولكن أم الفتاة والدوق يخشيان أن تذهب الفتاة الصغيرة مع ملاك الموت دون أن تدري حقيقة أمره فيطالبونه أن يصرح لها بالحقيقة كاملة ، ولكنه يخشى أن يفقدها إذا هي عرفت ولكن أمام الواجب يفهمها ويبدأ ويحاول مع ذلك لا تنزع . فيتغير من إنسان إلى طيف فلا ترى فيه هذا التغير وترجوه أن يأخذها معه حتى إلى الفناء وتسير إليه فيفتح لها ذراعيه وتسقط أوراق الاشجار ويستأنف الموت مهمته في الحياة . . وهكذا أراد الموت أن يهزأ من الناس فهزأ الناس منه ، استطاع المخرج أن يصور الطيف والظلال التي تسقط على الحجرات في صورة بديعة كان لها الاثر المطلوب في نفوس النظارة ، وكانت الاضاءة غاية في السرعة ، وقام المستر ميكائيل ماك ليومر بدور ملك الموت فكان بديعاً كما أجادت الأنسة شيلاماي أداء دور جرازيا في سداجتها وروحها الشعرية